كتاب
مكارم الأخلاق

تصنيف

الإمام برهان الدين النسفي

المتوفى ٦٨٧ هـ

تحقيق

محمد بن عبد الله أحمد

أبو الفضل القونوي

حقق أحاديثه

علي رضا بن عبد الله بن علي رضا



دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

كتاب

مكارم الأخلاق

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : Makārim Al-Aẖlāq

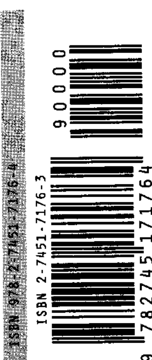
Classification: Morals
Author : Burhān Al-dīn Al-Nasafi
Editor : Muḥammad Ben ʿAbdullah Aḥmad
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut
Pages : 160
Size : 17*24
Year : 2011
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

الكتاب : مكارم الأخلاق

التصنيف : أخلاق
المؤلف : برهان الدين النسفي
المحقق : محمد بن عبد الله أحمد
الناشر : دار الكتب العلميــة - بيــروت
عدد الصفحات : 160
قياس الصفحات: 24*17
سنة الطباعة : 2011
بلد الطباعة : لبنــان
الطبعة : الأولى



ISBN 978-2-7451-7176-4



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن كتاب "مكارم الأخلاق" لمؤلفه برهان الدين النسفي جيد في بابه غير أن مؤلفه قد حشاه بطائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة والواهية والموضوعة والتي لا أصل لها نتيجة قلة البضاعة الحديثية لدى المؤلف كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، عندما وصفهم بقلّة بل بكونهم (أقلّ الناس علماً بالحديث، وأبعدهم عن ضبطه ومعرفته... تارة يجعلون الفتوى حديثاً وتارة تكون الكلمة محفوظة عن بعض الفقهاء أو بعض السلف فيجعلونها مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وتارة يخلطون بالحديث زيادات ليست منه...) وقد نقل أخي الأديب أبو الفضل القونوي عبارة شيخ الإسلام كاملة لأهميتها.

وقد اقتصرت في تحقيقي للكتاب على بيان درجة الحديث دون مزيد من التخريج وأشرت إلى مصادر ذلك من كتب محدث العصر الألباني رحمه الله تعالى، وقد أنقل من غيره فيما لم أجد له على بعض الأحاديث أحكاماً وقد أنقل بعض أحكام الحافظ العراقي للأحاديث التي لا أصل لها عند المؤلف، وقد أذكر علل بعض الأحاديث عندما اضطر

لتوضيح ذلك.

والله أسأل أن ينفعنا والقراء الكرام بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يزيدنا علماً نافعاً.

في مدينة النبي عليه الصلاة والسلام بعد عصر الجمعة ليوم ٢٥/٢/١٤٣٢هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فهذا كتاب (مكارم الأخلاق)، وهو مختصَر - كما أطلق ذلك عليه مؤلِّفُه - في التربية المستقيمة، وتعريفٌ بالأخلاق والصفات المحمودة والذميمة، ليتمَثَّل القارئ الأولى منها، ويَحذَر الأُخرى. وهو على ذلك سِفْرٌ نافع في بابه، يفيد منه قارئه فوائد جمَّة، وقد رُتِّب على حروف المعجم. ويُفهَم من كلام المؤلف أنه اعتمَد في تصنيفه على كتاب (رياضة الأخلاق)، (انظر: كشف الظنون، لحاجي خليفة: ١/٩٣٨)، للإمام محمد بن يوسف بن محمد المدني الحسني، أبي القاسم، ناصر الدين، السمرقندي (ت٥٥٦هـ)، الفقيه الحنفي، وكان عالماً بالتفسير والحديث والوعظ. انظر: الأعلام، للزركلي(٧/١٤٩).

وإني لأسأل الله تعالى أن يجعلني - والقُرَّاء - ممن قال فيهم سيِّد الدَّاعِين إلى مكارم الأخلاق، محمَّد صلَّى الله عليه

وسلَّم: «إنَّ خيارَكم أحاسِنُكم أخلاقًا»، (صحيح البخاري، رقم الحديث٥٦٨٨)، هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب: محمد بن عبد الله أحمد

(أبو الفضل القونوي) ١٤٣١/١١/١٣هـ

المدينة المنورة

المؤلف

هو أبو الفضائل محمد بن محمد بن محمد، الشيخ برهان الدين النَّسَفيُّ (نسبة إلى نَسَف مدينة كبيرة من مدن بلاد ما وراء النهر)[1] الحنفيُّ الفيلسوفُ المتكلِّمُ المنطيقي، المولود سنة ستمئة من الهجرة. صاحب التصانيف الكلامية والخلافية - كما قال الذهبي - في ترجمته في (تاريخ الإسلام)، وقال: «شاخَ وعمَّر، وأقرأ الطلبة، وسارَ ذِكره»، ووَصَفه في (دُوَل الإسلام): بشيخ الفلسفة ببغداد.

عقيدته:

يتضح من كتابه: (مشارق الأنوار في شرح أسماء الله تعالى)، أن المؤلف كان أشعريًّا في الصفات الإلهية، وهي عقيدة أهل الكلام والفلسفة.

من تلاميذه:

من أشهرهم: ابن الفُوَطيِّ، الذي قال عنه: شيخُنا الحكيم المحقق، العلامة المدقِّق. وأجاز في سنة ٦٨٤هـ من بغداد الإمام عَلَم الدين البَرزالي، وكتب بخطِّه في الإجازة: الملقَّب بالبُرهان النَّسفيّ.

من مؤلفاته:

مكارم الأخلاق. وهو هذا الكتاب.

مشارق الأنوار في شرح أسماء الله تعالى.

---

(١) معجم البلدان، لياقوت ٢٨٥/٥.

الواضح في تفسير القرآن.

كشف الحقائق وشرح الدقائق. لخَّص فيه تفسير الفخر الرازي.

المقدمة النسفية، وتسمَّى: المقدمة البرهانية، في الخلاف.

الفصول في علم الجدل [١].

منشأ النظر في علم الخلاف.

القوادح الجدلية.

دفع النصوص والنقود.

شرح على (الإشارات والتنبيهات) لابن سينا.

رسالة في الدَّوْر والتسلسل.

وشرح الرسالة القدسية للغزالي. قال حاجي خليفة: ويحتمل أن يكون له رسالة قدسية على ما يُفهم من ترجمته.

وذَكر له مؤلف كتاب: (تاج التراجم) كتابين، فقال: صاحب المحيط والذخيرة. قال ابن الفوطي: له التصانيف الشهيرة، وكان أوحد في الخلاف والفلسفة، متِّعَ بحواسِّه، وكان زاهدًا، وقد كان مولده - تقريبًا - سنة ست مائة.

---

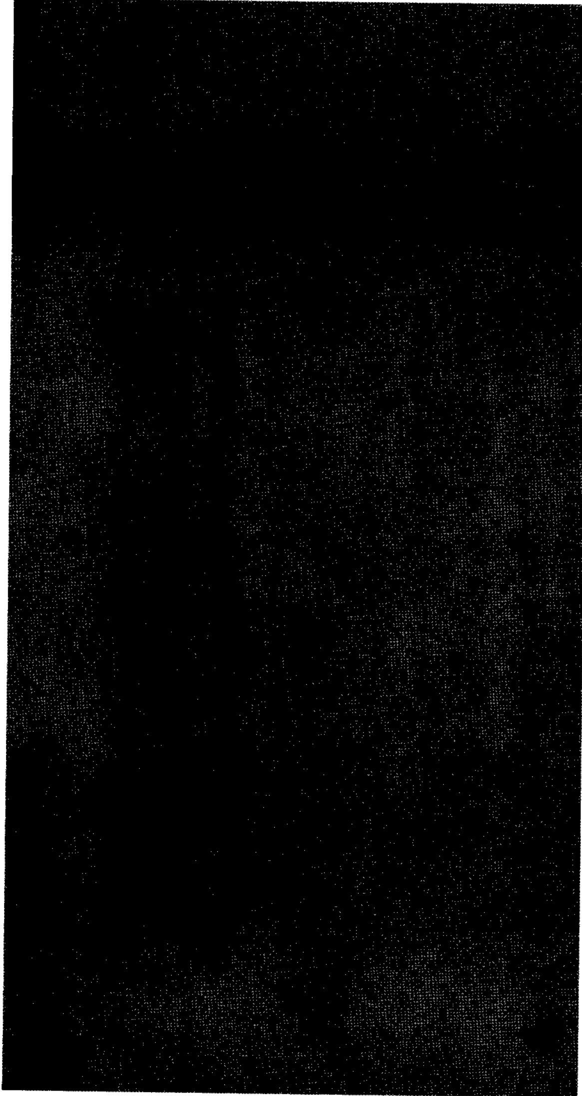
(١) وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بكتابه: (تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل)، وقد نشره الأستاذان الفاضلان علي بن محمد العمران، ومحمد عزير شمس. في مجلدين، سنة ١٤٢٥هـ.

مخطوطة الكتاب

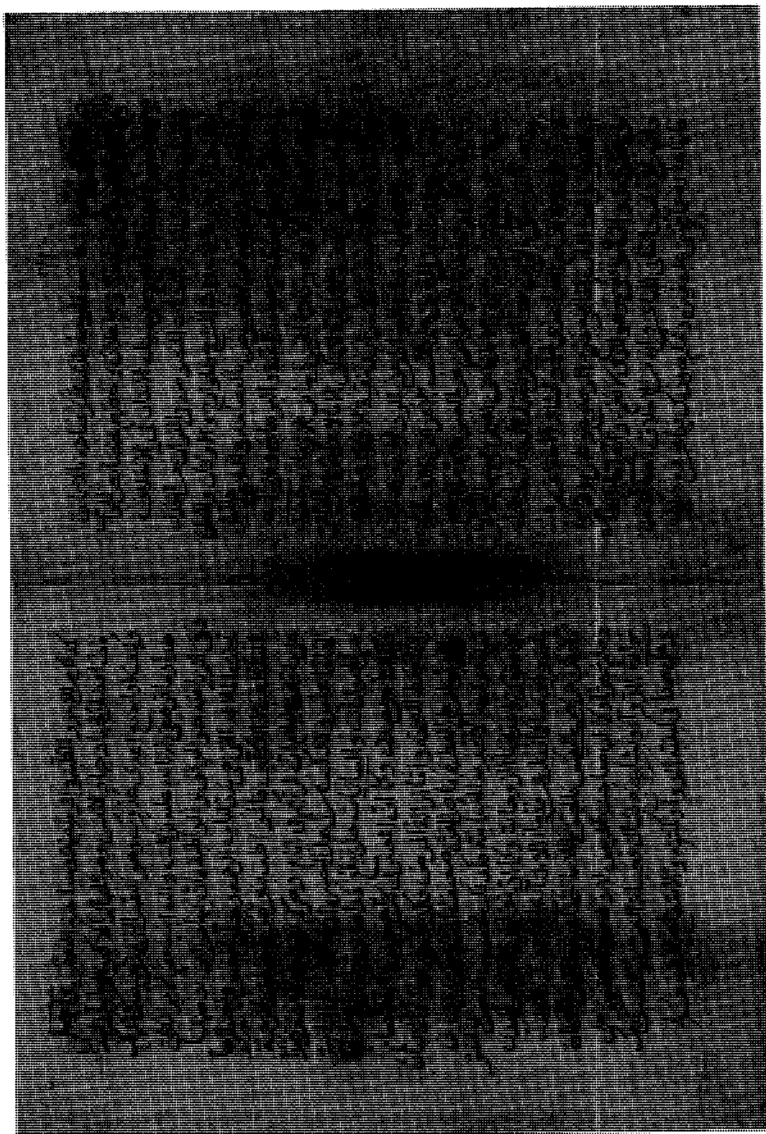
هي مخطوطة في سبع وأربعين ورقة، ضِمْن مجموع. حوتها مكتبة (إلْخَلْق كتبخانسي) في مدينة (ديار بكر)، في شرق تركيا[1]، برقم (٢/١٣ Hk ٢١). عثرْتُ على خُبر مكانها أولًا أثناء بحثي في موقع (يازمالر)، للمخطوطات التركية، في النّتِّ، وجاء اسم الناسخ في نهاية كتاب آخر للمؤلف، ضمن المجموع، وفيه: (تمَّ هذا الكتاب، بعون الملك الوهاب، في شهر الله الأصَمِّ، رجب، سنة تسع وثمانين وستمئة، في مدينة السلام - حرسها الله عن الآفات - في مدرسة السعادة - ختم الله لكاتبه بالسعادة - وهو الفقير الراجي إلى رحمة ربّه اللطيف الكبير العلي، محمد بن محمود بن علي، الملقب بجمال النحائي، غفر الله له ولوالديه، ولأستاذيه، ولجميع المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات). ثُمَّ كتب في حاشية الكتاب: (قوبل هذا مع نسخة المصنِّف، رحمه الله، بخطِّه، في أوائل جمادى الآخرة، سنة تسعين وستمئة). وكان هذا تاريخ نسخ الكتاب أيضًا.

(١) رأت وزارة الثقافة التركية أن تُنقل مخطوطات هذه المكتبة، إلى مدينة قونية، فهي الآن هناك مع مكتبات أخرى ضُمَّت إلى مكتبتها المسمَّاة: (قونية بُلْكَه يازما أثرلر كتبخانه سي)، وهي المكتبة الثانية بعد السليمانية في إصطنبول من حيث عديد مخطوطاتها.

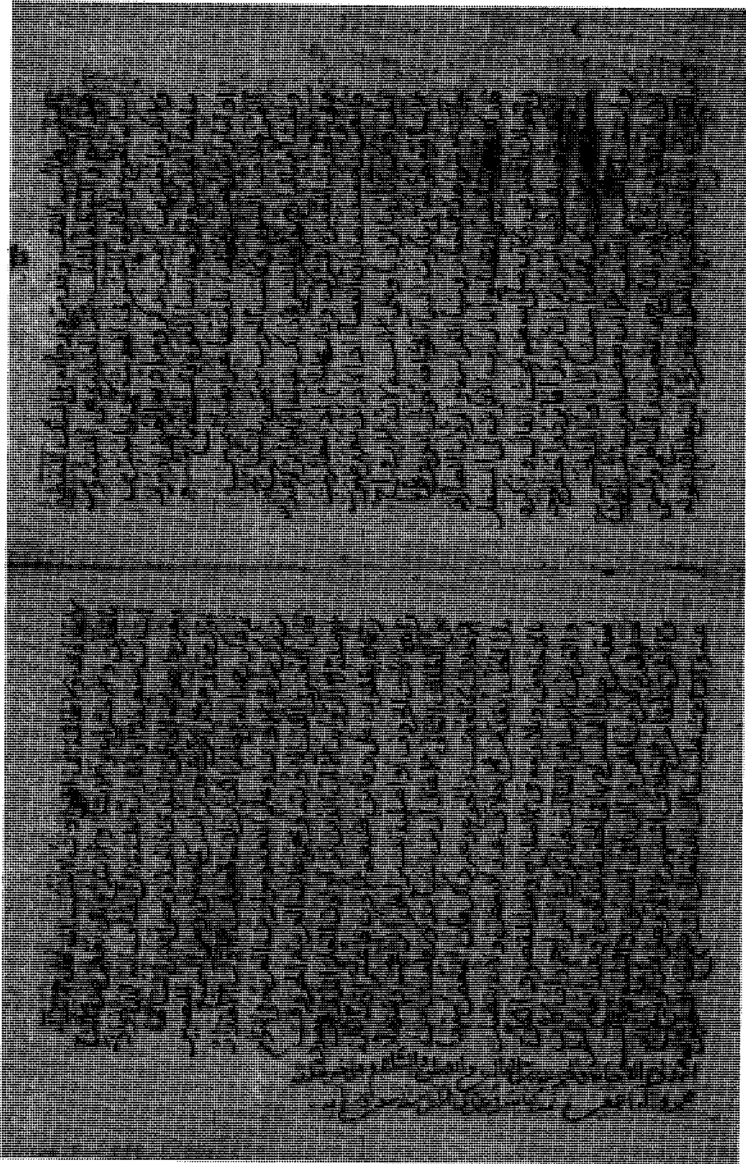
نماذج من صور المخطوط



صورة عنوان المخطوطة



صورة الورقة الأولى من المخطوطة



صورة الورقة الأخيرة من المخطوطة

ما يؤخذ على الكتاب

مما يؤخذ على الكتاب ومؤلفه قلَّة معرفته بالحديث النبوي، فقد ذَكر في هذا الكتاب عشرات الأحاديث، وكثير منها لم يصحَّ. ويحسُن أن أنقل عن كتاب أبي العباس بن تيميَّة: (تنبيه الرَّجُل العاقل) ما أخذه على المؤلِّف وأمثاله في ذلك. قال رحمه الله تعالى: «هؤلاء المتأخرون من الخلافيِّين ونحوِهم من المتفقِّهة أقلُّ الناس علمًا بالحديث، وأبعدهم عن ضبطه ومعرفته، ولعل أحدهم، أو أكثرهم، لا يعرفون مظانَّ طلب الأحاديث، ولا حَمْلها ونقلها، ولا يُميِّزون بين أجناسها وأنواعها، وأدنى دليلٍ على ذلك ما في كُتبهم من الأحاديث التي أجمَعَ أهلُ الحديث على أنه ليس لها أصل عن النبي ﷺ. تارة يجعلون الفتوى حديثًا، وتارة تكون الكلمةُ محفوظةً عن بعض الفقهاء، أو بعض السَّلف، فيجعلونها مرفوعةً إلى النبيِّ ﷺ، وتارة يخلِطون بالحديث زياداتٍ ليست منه، وذلك لأنهم لم يتَلَقَّوا الأحاديث ممن ضبَطَها وأحكمها، وإنما غايةُ المبرِّز منهم أن يجِدَه في بعض كتب الفقه، ولا يَعْرف من أين نَقَله ذلك المصنِّف، ومجرَّد ذلك لا يُغَلِّب على الظنِّ صحَّةَ الحديث، بعدما عُرِف من تساهل هذا الضَّرْب في الأحاديث، وقلة اعتنائهم بها، لا سيما إذا لم يوجد له أصل في الدَّواوين المغْنِيَّة بهذا الشأن، وعند الرجال الذين هُمْ فرسان هذا العلم.. »، حتى قال رحمه الله تعالى: « ويكفي دليلًا على ذلك أن هذا المصنِّف [1] ذَكر في كتابه هذا عدَّة

---

(١) يعني البرهان النسفي، مؤلف هذا الكتاب، والكتاب الذي رد عليه ابن تيمية.

أحاديث عامَّتها ليست محفوظة عن رسول الله ﷺ، مع أن في الباب الذي يذكُره أحاديث صِحاح مشهورة!»[(١)]، وما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - في الكتاب الذي رد عليه، هو وصفٌ لأحاديث هذا الكتاب، الذي لم أرَ داعيًا للتَّكثُّر بتخريجها، وهذا شأن أكثرها، ولسهولة الوقوف لمن أراد ذلك على طريق تقانة العصر، ومن ثم أوكلت إلى أخينا المحدث علي رضا المدني تحقيق هذه الأحاديث فاستجاب مشكوراً.

وفاته:

مات المؤلف في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ٦٨٧هـ ببغداد، وهو في عَشْر التسعين من عمره، ودفن تحت قبة مشهد الإمام أبي حنيفة. وكان قد قَدِمها حاجًّا في سنة ٦٧٥هـ، فسكنها، واشتغل عليه هارون بن الصاحب.

ويبدو أن وَهْمًا للإمام الذهبي، في تاريخ وفاة المؤلف، تسبَّب في تعاقب الناقلين عنه على الخطأ نفسه، فقد ظنَّ الذهبي في كتابه (تاريخ الإسلام) أنه ممن توفي سنة ٦٨٤هـ، فترجمه في تلك السَّنة، ثُمَّ إنه تنبَّه، فأعاده في المتوفين سنة ٦٨٧هـ [(٢)].

---

(١) كتاب: تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل. لابن تيمية ٥٣٤/٢ - ٥٣٥.

(٢) تاريخ الإسلام، ٥١٧/١٥، ٦٠٠، ودول الإسلام ٢١١/٢، والعبر في خبر من غبر، للذهبي ٣٥٥/٣، والجواهر المضية، للقرشي ٣٥١/٣، وعقد الجمان، للعيني ٣٧٧/٢، وكشف الظنون، لحاجي خليفة ٩٥/١، ٨٦٥، ٨٨٢، ١٧٩٨/٢، ١٨٦١ والأعلام للزركلي ٣١/٧، ومعجم تاريخ التراث الإسلامي، لعلي رضا قرا بولوط ٣١٠٦/٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب وبيان الأصول الكلية لمكارم الأخلاق

الحمدُ لله الذي أمَر عبادَه بالإيمان، ونهاهُم عن الإعراض في السرِّ والإعلان، وخَصَّهم بخصائص الحواسِّ والأذهان، ليكون انْتِهاضُهُم على سبيلِ الإتقان، في الأخلاق المخْصُوصَة بالإنسان، والآدابِ المنصوصَة في القرآن، من العدل والإحسان، ورعاية حدود الشَّرْع بالجوارح والأركان، والصلاة والسلام على رسوله محمَّد المخصوص بالفصاحة والبلاغة والبيان، المنصوص عليه في صِدْق دعواهُ بالبَيِّنَة والبُرهان، وعلى آله وأصحابِه سادةِ الأقران، وقادةِ الخَير في سائر الأزمان، وبعد:

فإنَّ التَّوَجُّه إلى الحضرة الأزَلِيَّة لا يُمكن إلا بالإعراض عن العلائق، وذلك لا يُمكن إلا بتصفية الأسرار، وتَنْقِية الأفكار، وتَحلِيَة الظواهر بالفضائل، وتَخْلِية البواطن عن الرذائل.

وهذه الأمورُ مِنْ جُملة ما لهُ مِنَ الطريق على حَسَب الأغراض النفسانية، وإن كان كلُّ واحدٍ منها بالإعراض عن الغَير، فلا بُدَّ مِنَ الاطلاعِ عليها. والاطلاعُ ذريعةٌ إلى الانتهاض للعمل على سبيلِ التحقيقِ، وبالله التوفيق.

ثُمَّ إنَّ هذا المختصَر يشْتَمل على بيانِ ذلك، وذلك على ثلاثة أقسام:

القواعدُ، والآدابُ، والأخلاقُ

إذِ القَولُ في هذا الباب إمَّا كُليٌّ، يَعُمُّ الموضوعَ وغيرَه، وذلك من القواعدِ، وإمَّا جُزئيٌّ، وهو الذي لا يَعُمُّ، وإنه إمَّا في الظاهر، وهو من الآداب، وإمَّا في الباطن، وهو من الأخلاق.

أمَّا **القاعدة** فإنها عبارة عمَّا يُبْتنَى عليه غيرُه، ويُحكَم به، وذلك فيما نحن فيه ما يكون كذلك من الأمور الكُليَّة في الرياضة، وسياسة النَّفْس.

واعلمْ بأن أفضلَ الجهادِ جهادُ النفس، وهو الجهادُ الأكبرُ على ما جاء في الحديث، وكيف لا؟ وأنه مع أعْدَى عَدُوِّك، وهو النَّفْس، التي بَيْنَ جَنْبَيْك، فكذلك هذا، ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

ثُمَّ الأمر الكُليّ في الرياضة، هو الرِّفْقُ والمواظبة، فإن فيها من الفوائد منها: تُجنِّبُ الملالَة، التي هي سَدٌّ لبابِ الرحمة، وتخلُّق النَّفْس، واعتيادها بالتلطُّف لا التكلُّف، فالمواظِبُ يتعرَّضُ لنَفَحات الرحمة على ما قال عليه الصلاة والسلام: «إن لربِّكم في أيام دَهْركم نفحاتٍ، ألا فتعرَّضوا لها»، فاعتبر.

وقد كَتَبَ، مِنْ أهل البصيرة: إنَّ الأجسام النامية، من الحيوانات والنباتات، هل يبلغ مداها دفعةً؟ بل شيئًا فشيئًا، فكذلك ما نحن بِصَدَدِه، وكما أنَّ المعتبَر في كل جسم من تلك الأجسام إمَّا حِفْظ الصحة، وإمَّا إزالة المرض، فكذلك في هذا، فالإنسانُ مثلًا يولد على الفطرةِ، قاصِرَ القوَّةِ، ضعيفَ المنَّة، نحيفَ البدن، ثُمَّ يتقوَّى بالأغذية الجسمانية، فكذلك نحسب النفْسَ، إذِ النفسُ إنما تتقوَّى بأغذيتها الروحانية.

وكما أنَّ معالجةَ أمراضِ البَدَن بأضدَادِها - كما نُقِلَ عن قدماء الأطباء: «عالِجِ الضِّدَّ بالضِّدِّ» - فكذلكَ أمراضُ النَّفْسِ، فالجُبنُ - مثلًا - بالشَّجاعة، والبخلُ بالسَّخاوة، وهلُمَّ جرًّا.

وكما أنَّ صاحب المرض لا بدَّ له من الصَّبر على مرارةِ الدواءِ وبشاعَتِه، لِيَنال فضيلةَ الصحةِ، فالنفسُ كذلك، وعلى هذا في كيفية الدواء وكميَّتِه، والانتفاعِ بالطبيعة العاصية، والالتفات إلى أحوال الزمان والمكان، والصَّنْعة والسِّنِّ.

وكما أنَّ الدواءَ الواحدَ من الأدوية الجسمانية لا يصلح لكل داء، والدوام عليه من جِنسٍ واحد يُوجِب كلالةً في الطبع، فكذلك من الروحانية.

وكما أنَّ المريض ربما يُتْرَكُ واختيارَه في تناول الأطعمة - وإن كانت مُضِرَّةً - تقويةً للطبع القابل للدواء، فكذلك هذا ينبغي أنْ يُجِمَّ نفْسَه في بعض الأوقات بشيء من المزاح ونحوه، مما يَحِلُّ.

ثُمَّ من الرِّفْق أنْ يُنْقَلَ مِنَ الأفحش إلى الفاحش، ثُمَّ إلى الأقرب منه على التدريج، إلى أن يَنتهي إلى درجة الكمال، فيُعالَج به أو بالضِّد - وهو الأصوب عند البعض - كما يُنقل الجبانُ إلى التهَوُّرِ، والبخيلُ إلى الإسراف.

فصل

أَمَارةُ الصِّحة في البَدَن أو في عُضْوٍ منه، ألَّا يَتعذَّر عليه ولا يتعسَّر ما يكون مختصًّا به، ومقصودًا منه. والمقصودُ من الإنسانِ العبادةُ أو العبوديةُ لله وبالله، فالنفْسُ ما دامت مائلةً إلى العبادة، والذِّكر، والفِكر، والعلم بكلِّ

واحدٍ منها على وَجْهٍ لا يَتعذَّر عليه، ولا يتعسَّر، كانت في الصحة، وإلا فلا، فلتُعالَجْ منه قبل أن تَزداد.

فصل

ثُمَّ من أسباب صُعوبةِ أمراضِ النَّفْس عَدَمُ الشُّعورِ بها، ولا مُتقاضى للمعالجة إلا الاطلاع على أحوال العلماء وأقوالهم، إمَّا على الأحوال، وذلك عزيزُ الوجودِ في هذا الزمان، وإما على الأقوال، فذلك مما يَقِلُّ جَدواه، ولهذا عَمَّ البلاءُ، وشَمل الداء، والله المستعان وعليه التُّكلان.

فصل

ثُمَّ إذا عُولِج ربما أُفرط في الميل كالمرطوب يَمِيلُ إلى اليُبوسة جدًا، فيعاد إلى الاعتدال والاستقامة، وهو الصراط المستقيم، والخير من الأمور، لكنَّ الإقامةَ عليه عسيرٌ، فإن في كل سبيلٍ من الجانبَيْن شيطانًا يدعو إليه، وقد قيل في قوله عليه الصلاة والسلام: «شَيَّبَتْني سورةُ هود»[1] إن ذلك لقوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ﴾ [هود: ١١٢].

فصل

إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا بصَّرَه بعُيوب نفْسه، فيستعدُّ لإزالتها والوقوف عليها بطرُق ثلاثةٍ؛ الأول: الاستعانةُ من ناصح، قال عمر رضي الله عنه: «رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي»، وعلى الحقيقة: العُيوبُ حيَّاتٌ وعقاربٌ

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهده التي بينها المحدث الألباني رحمه الله تعالى في السلسلة الصحيحة برقم (٩٥٥).

على الأرواح، تتألمُ بها في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ [طه: ١٢٧].

والثاني: أن يستفيد من لسان أعدائه.

والثالث: أن يخالط الناس، فيترك ما يَشِينُهم.

فصل

والحثُّ على ترك الهوى - أعني هوى النفس - من اللوازم، فإن الهوى من الأعداء، وعليه من الآيات والأخبار، قال تعالى خبرًا عن يوسف، صلوات الله عليه: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ الآية [يوسف، ٥٣]، وقال عليه الصلاة والسلام: «المؤمن بَيْنَ خمس شدائد: مؤمن يَحسُدُه، ومنافق يُبغضُه، وكافر يقاتلُه، وشيطان يُضِلُّه، ونفس تُنازِعُه»[١]، وعلى الحقيقة الأمورُ الباطلة كلها متابعة الهوى، فعليك بالتَّرْك إن أردتَ النجاةَ، ونَيْل الدرجات.

فصل

الخُلُق قد يكون مفيدًا، وقد لا يكون، فِطريًّا كان أو كَسْبيًّا، وما نُقل عن البعض: أنَّ التخلُّقَ لا يُفيد. فذلك باطلٌ، وإلا لا[٢] فائدةَ في التعلُّم، بل في بعثةِ الأنبياء، فإنهم إنما بُعثوا للدعوة إلى مكارم الأخلاق، اللَّهُمَّ إلا أنْ يَعْنُوا أنَّ الخُلُق الغَرِيزيَّ لا يزول بمرة حتى لا يَبقى أصلُه، هذا يكون حَتًّا

---

(١) موضوع لا أصل له، وقد رواه ابن لال والديلمي، وفيه أبان بن أبي عياش. وهو متهم بالكذب.

(٢) كذا، والفاء واجبة لأن جواب الشرط فيه جملة اسمية.

على الرياضة لا إنكارًا، وعن بعضهم: أنَّ المقصودَ منه إزالةُ الأخلاقِ الذميمة، كالشهوة والغضب، فإن أصولها ودَواعيها لا تزول ما دامتِ النفسُ في الحياة، فلا تبديلَ لخَلْقِ الله، وعن قريبٍ من هذا ما رُوي عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام: «ما مِنْ أحدٍ إلا وله شيطان، فقيل: ولا أنت؟ فقال: ولا أنا، إلا أنَّ الله تعالى أعانني، فأسلم»[١].

ثُمَّ إنَّ الأخلاق لا تكون مذمومةً في أنفسها بل لوَضْعها في غير موضعها، والصلاةُ والصوم وغيرهما من العبادات كذلك إذا وُضِعَتْ في غير موضعها كانت مذمومةً. ولما كان الخُلُق صفةً للنفس الباطنة، فلا تظهر إلا بآثارها، ولو كان كذلك، فعدمُ الظهور لا يُخِلُّ به، ولهذا يقال: إنَّ السَّخِيَّ سَخِيٌّ، وإن لم يكن له مالٌ يجود به.

فصل

المقصدُ لمريد الآخرة أنْ يَصير مستأنسًا بذِكْر الله تعالى، مطمئنًا به، فيتنعَّم به في الدنيا والآخرة، ولا يتمُّ له الأمر إلا بأربعة أشياء: الخلوةُ، والصمتُ، والسَّهر، والجوع، وإنه - أيِ الجوعُ[٢] - هوَ الأصلُ لما أنه يُرِقُّ القلبَ، ويُزيلُ الحِرصَ، ويُقرِّبُ إلى الله تعالى، ولذلك قال تعالى عَقيب آية الصوم: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ويُزيل النومَ الكثير، وزيادة المخالطة والكلام، فإذَنْ الجوعُ مفتاح الآخرة. وليَرْفُقْ في التجويع الذي هو مِلاك الأمر، وليواظبْ على الذِّكْر حتى يتمكن الذِّكر في قلبه، وليبالغْ في الفرار مِنَ الخَلْق، وليُؤثِرْ في الأخلاق الوَسَط؛ لأنه

(١) صحيح بلفظ قريب منه رواه مسلم وغيره.

(٢) الجوع ليس مطلوباً لذاته، بل المطلوب الصوم؛ فإن الشرع جاء به (علي رضا).

أقرب إلى الخُمول، وأبعد من حظِّ النفس، إذِ الحظُّ إمَّا في التفريط - وذلك بَطَالةٌ - أو الإفراطِ - وذلك رياءٌ - حتى يَحصل له مِنَ القُرْبِ إلى الحضرة ما لا يحصل لغيره.

فصل

أمَّا رياضةُ الصَّبِيّ، فالصبيُّ أمانةٌ مِنَ الله تعالى عندَ والدَيْه، ونَفْسُه نَفِيسَةٌ قابلةٌ لكلِّ نَقْشٍ، فلو أُهمِلَ لَبَطَل، قال تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦] فليُعَلِّمْهُ أولًا محاسِنَ الأخلاق، وليُجَنِّبْهُ قُرناءَ السَّوْء، ولا يُعوِّدْه التَّنَعُّم؛ لأنه سببُ التندُّم، وليُؤَدَّبْ بالآداب الظاهرة - على ما سيأتيكَ تفصيلُها - ويُحبِّبُ إليه الإيثارَ والحياءَ تنفيرًا لطَبعه عن الأضداد، ولا يُرغِّبه بالأشعار إلا وهي في السخاوة والشجاعة، ويُعوِّد الخشونةَ في الملبس والمطعَم، وغيرهما من الرياضات الجسمانية نحوَ المشي وغيره تقويةً لموادِّه. وبالجُملة يُرَغِّبه في كلِّ خير، ويُجنِّبه من كل شرٍّ، فقَبُوله أيسرُ لأنه لا يَحتاجُ إلى تَرْكِ المعتادِ.

قال الشاعر:

إنَّ الغُصونَ إذَا قَوَّمْتَها اعْتَدَلَتْ ... ولا تَلِينُ إذا قوَّمْتَها الخُشُب

جملةٌ من محاسن الآداب والأخلاق عن النبي عليه السلام

إن الله تعالى حَفَّ الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، فمن ذلك: حُسنُ المعاشرة، وكرمُ الصنِيعَة، وإطعامُ الطعام، وإفشاء السلام، والابتداءُ به، وكَظْمُ الغيظ، والعفو عن الناس، وغير ذلك مما هو من الجود إذِ العلمُ، والحلمُ، والجود، والكرمُ، والسخاوة، والشجاعةُ، والعدلُ،

والعفَّة، كلُّها من أخلاق النبوة، فالنبيُّ أشدُّ الناس تواضعًا، وأحسنُهم بِشْرًا، لا يُتَقزَّز عنده شيء من الطعام، ولا يَتقزز بصره في وجه أحد من الأنام، يُجيب دعوةَ العبد، ويَقبلُ الهدية - وإنْ قلَّتْ - ويُكافئُ عليها، ويُنفِّذُ الحقَّ، وإنْ عادَ عليه الضَّرَرُ أو على أصحابِه، يَلْبَسُ ما وَجَدَ، ويَركَب كذلكَ، وربما أرْدَفَ غيرَه، يُحبُّ الطِّيبَ، ويكره ضِدَّه، يُجالس الفقراء، ويُكرِم أهلَ الفضْلِ، ويَتألَّفُ أهلَ العُسْر بالبِرِّ، ويَضحَكُ تَبسُّمًا، ويَمزَح، ولا يقول إلا حقًّا، لا يُحقِّر مسكينًا لِفَقْرِه، ولا يَهابُ مَلِكًا لملْكِه، لا يُخَيَّر بَيْنَ أمرين إلا ويختار أيسَرَهما، وما يأتيه أحدٌ إلا قام له حُرًّا كان أو عبدًا، ويقوم معه في حاجته، يُكرِمُ مَن دَخل عليه، ويُؤثِرُ عليه بالوِسادَة، ويُعطِيه نَصيبَه مِن وَجهِه وسمعِه، وحديثِه ولطيف محله، لا يَقوم ولا يقعد إلا على ذِكْر الله تعالى(١).

ورُوي عن نبيِّنا مُحَمَّد ﷺ أنه إذا قام عن مجلسه قال: «سبحانك اللَّهُمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، وكان يقول: «علَّمَنيهِنَّ جبريلُ صلوات الله وسلامه عليه»(٢).

جملةٌ أخرى عن بعض الحكماء

إن أردتَ حُسن المعاشرة، فالْقَ صديقكَ وعدوَّك بوجهِ الرضا، مِنْ غير ذِلَّةٍ لهم ولا هيبةٍ منهم، وإنْ قَرَبَك سلطانٌ فكُنْ منه على حَدِّ السِّنان، وإنِ اسْتَرْسَل إليك فلا تأمَنِ انقلابَه عليك، وارْفُقْ بهِ رِفْقَكَ بالصَّبِيِّ، وكَلِّمْه بما يَشتهِيه، وإيَّاكَ وصديق العافية، فإنه أعدى الأعداء، ثُمَّ إذا دخلتَ مجلسًا، فالأدبُ البدايةُ بالسلام، والجلوسُ حيثما اتَّسَعَ، ويكون أقرب إلى

(١) أكثره ثبت في الأحاديث الصحيحة والحسنة بألفاظ قريبة وبعضه لا أصل له.

(٢) صحيح: دون الزيادة في آخره انظر (الصحيحة) ٣١٦٦.

التواضع، وعليك بالسلام على مَن قَرُبَ منك عند الجلوس.

ولا تجلسْ على الطريق، وإن جلستَ فأدَبُه غَضُّ البصرِ، ونُصرةُ المظلوم، ولا تجالسِ الملوكَ، وإن جالستَهم، فأدَبُه تركُ الغِيبة، ومجانبةُ الكذب، ولا تجالسِ العامَّةَ - أيضًا - وإنْ جالستَهم فالأدبُ تركُ الخوضِ في حديثِهم، والتغافلُ عن سوء ألفاظِهم، وإياك أن تمازح لَبيبًا، أوْ غيرَ لبيب، فاللبيبُ يَحقِدُ عليك، والسَّفِيهُ يَجترِئُ عليك، وإنه - أيِ المزاحُ - يَخرقُ الهيبَةَ، ويذْهَبُ بحلاوة الوُدِّ، ويَشِينُ الفقيهَ، ويُجرِّئُ السفيهَ، ويُسقِطُ المنزلةَ عند الحكيمَ، ويُمِيتُ القلبَ، ويُورِثُ الذِّلةَ، فمَنِ ابتُليَ بذلكَ فليَذْكِرِ الله تعالى.

مقدمة

وإذْ فَرَغْنا مِنْ بيان هذه الأصول الكلِّية، فلنُعْنَ ببيان تفاصيل الأخلاق، ولنُبَيِّنْ في كل واحدٍ منها ثلاثةَ أشياء: الماهِيَّةَ، والسببَ، والعلاجَ، إنْ كان حَسَنًا لتَقْوِيَتِه، وإنْ كان قبيحًا لتَنْقِيَتِه.

ولا يُسْتَرابُ في أنَّ بيانَ السبب مما يُسهِّلُ الوقوفَ على كيفيَّة المعالجةِ، وإنَّها إمَّا ظواهر - وتُسمَّى آدابًا - وإمَّا بواطن - وتسمَّى أخلاقًا - وإنْ كانتِ الآدابُ الظاهرة، وأضدادُها، أعراض الأخلاقِ الباطنة، فلا بُدَّ مِنَ التَّنْبيه على هذه الظواهرِ، ليَتَميَّز القبيحُ منها عن الحَسَن.

أمَّا الآدابُ فما يجبُ تقديمُه منها بالذِّكْر فذلكَ: آدابُ المعلِّم والمتَعَلِّم، فإنَّ للتَّعَلُّم تَقَدُّمًا على غيره، أمَّا للمتعلِّم فتَطْهِيرُ النَّفْسِ عن الرذائل، فإنَّ اللهَ تعالى يُلْهِمُ ويُعَلِّمُ بواسطةِ الملائكة، وقال جبريلُ صلوات الله عليه: «إنَّا لا ندخل بيتًا فيه كلب أو صورة»[1]، ورذائلُ الأخلاقِ كِلابٌ معنويةٌ.

ومنها ألَّا يتكَبَّر على المعلِّم، ولا يتأمَّر عليه، بل يخدُمُه، ثُمَّ عليه أن يَحْتَرِزَ عن العلوم المختلفة، فإنها سببٌ لتفرُّق هِمَّتِه، وقِلَّةِ رغبتِه، بل فناءٌ ثُمَّ فناءٌ، وأن يأخذ من كل شيء أحسنه، فإن العلمَ كثيرٌ، والعمرَ قصيرٌ، وأن لا يغفل عن الأهَمِّ، وهو العِلمُ الإلهي، إذْ هوَ من العلوم [التي] تبقى معه أبَدَ الآباد، وأن تكون همته التقرُّب إلى الله تعالى، فإن مَن طَلَبَ العلمَ

(١) صحيح متفق عليه.

للآخرةِ، فله الدنيا والآخرة، ومَن طلب العلم للدنيا، فقد خَسِرَ الدنيا والآخرة.

ولو تأمَّلْتَ في قصة موسى - عليه السلام - لعرفتَ آدابَ التعلُّم، فإن قوله: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا﴾ [الكهف: ٦٠] يَدُلُّ على الجِدِّ والهمَّةِ القوية، والنيَّةِ الصادقة، ونسيانُ الحوت على أنَّ المتعلِّمَ يُصيبُه البلاءُ والابتلاء، وخروجُ موسى - صلوات الله عليه - على الترغيب في الغُربة والمبالغة في الطلب، وعلى الاحتياط في تعيين المعلِّم، وقوله: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الكهف: ٦٦] على وجوبِ الملاطفة واللِّين، وقول الخَضِر صلوات الله عليه: ﴿لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٧] يدُلُّ على جواز اختيار المعلِّم للمتعلم، وقوله: ﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾ [الكهف: ٦٨] على إقرار المتعلِّم بأنه لا يَعلم، وفيه من الأسرار ما فيه، رَزَقنا الله تعالى الاطلاعَ عليها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

آدابُ المعلِّم:

الشَّفَقَةُ على المتعلِّم كما على ولدِه، فإن الثناء في الدنيا، والثواب في الآخرة به أقومُ، ومنها أن لا يطلب أجرًا ولا جزاء، وأن لا يدَّخر من النصح شيئًا، ولا يزجره عن مساوئ الأخلاق بالتصريح بل بالتعريض، وأن لا يُقَبِّحَ باقي العلوم، وإن كان متكفلًا لنوعٍ واحد، وأن يَقْتَصِر على قَدْر فَهْم المتعلِّم، وأن يكون عاملًا بعِلمه، وأن يكون فيه من آثار السَّكِينة، وأن يكون النظرُ إليه مُذَكِّرًا بالله تعالى، وأن يكون اعتمادُه على الأدلَّة أقوى مِن

اعتمادِه على الكتب، وأن يكون على الطهارة ما أمْكَنَ.

فصل

وأمَّا آدابُ العباداتِ، فآدابُ الطهارات وما يَتعلَّق بها مذكورةٌ في الكتب الفِقْهيَّة، كالسِّواك والمضمضة وغيرهما، مِنْ تَنْقِيةِ البَراجِم، والواجب وإزالة الوَسَخ والدَّرَن. قيل في فائدة الحمام: « نِعْمَ البيتُ الحمَّامُ يُطَهِّرُ البَدَنَ ويُذكِّرُ النارَ»(١)، وفي آفته أيضًا: « بئسَ البيتُ! يُبدِي العورةَ، ويُذْهِبُ الحياءَ»(٢)، ثُمَّ على الداخِلِ فيه أن يُعطِيَ الأجرةَ كاملةً قبل أن يَدخل، وأن يُقدِّم رجلَه اليُسرى، وأن يَدخل على التدريج، بَيْتًا فبَيْتًا، وأن يَخرجَ كذلك، ولا يَدخل بَيْنَ العشاءين، وقريبًا مِنَ الغروب، والباقي مِثْل غضِّ البصر، وغيره ظاهرٌ.

فصل

ولا بأسَ بِحَلْقِ الشَّعَر وخِضابِ اللِّحيةِ بالحُمرة والصُّفرة إرعابًا للأعداء، وعند البعض بالسَّواد - أيضًا - ويُكرَه تبييضها استعجالًا للشيب، وبالنظر إلى سوادها وبياضها تغير [....] ولهذا قال عليه السلام: «مِنْ سعادةِ المرء خِفَّة لحيته»(٣).

وأمَّا الصلاةُ، فآدابُها مشهورةٌ - أيضًا - لما أنَّ الكتب الفقهية مشتملة عليها ظاهرة كانت أو باطنة، نحو: الحضور والتعظيم، والهيبة والرجاء والحياء.

---

(١) روي مرفوعاً: ولا يصح موقوفاً. انظر (الضعيفة) ٦٢٥٥.

(٢) روي مرفوعاً: ولا يصح وكذا لا يصح موقوفاً.

(٣) موضوع: (الضعيفة) ١٩٣.

وأمَّا الزكاةُ، فمن آدابِها أنْ يُبادرَ الأداء على سبيل الإخفاء بنيَّة الفرض، ويَعلَم أنه تعالى ابتلاه به لِيُظْهِرَ صدقه في دعوى العبودية والمحبة، وأن لا يُبطل صَدَقَتَه بالمنّ والأذى، وفي أخْذِ الصدقة، وأن يَعلم بأنَّ الخالقَ للمال، والمعطيَ له في الحقيقة، والموصلَ إليه، والنافعَ به، والآمرَ بالصَّرف إليه شرعًا، والملجئَ إلى الأداء طبعًا هوَ اللهُ تعالى، وأن يَشكر المؤَدِّي - إذ هو واسطةٌ - ويَتَوَرَّعَ عما فيه شُبهة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢].

وأمَّا الصومُ، فعلى الصائم أن يُقدِّمَ نيَّةَ القُربة، ويَحْتَرِزَ عن الغِيبة، والمزاح الفاحش، وأنه للعوام، وأن يمتنعوا عنها، وعمَّا عَداها مِنَ المكروهات، ولخواصِّ الخواصِّ أن يَمْتَنِعوا عنها، وعن المباحات ما أمكن.

وأمَّا القراءة، فعلى القارئ أن يستقبلَ القِبلة على الوضوء، وأن يكون على هيئةِ التعظيم جالسًا كان أو قائمًا، وأن يُرتِّل ويتوسَّط في الجهر، ويُراعي حقَّ المعاني على ما عُرف، وأن يقرأ في كل يوم مرة، أو في كل شهر، وأنه مبالغة في الاقتصار، وقيل أحزاب القرآن سبعة: الأولُ ثلاثُ سورٍ، والثاني خمس، والثالث سبعٌ، والرابع تسع، والخامس إحدى عشرة، والسادس ثلاث عشرة، والسابع إلى الآخر، وقد رُوي هذا مرفوعًا.

وأمَّا في الدعاء، فعليه أن يُراقب الأوقاتَ الشريفة نحوَ ليلةِ القَدر في السنة، وأيام البِيض في الشهور، والجمعة والاثنين في الأسبوع، والعَشيِّ والإبكار في اليوم والليلة، والأحوالَ الشريفة - أيضًا - نحو نزولِ الغيث، وإقامة الصلاة، وإصابة البلاء، وأن يستقبل القبلة، ويرفع يديه بحيث يُرى بياض إبطَيْه، ويَبتدئ بحمد الله تعالى والصلاة على رسوله، ولا يَتكلَّفُ في

اللَّفْظ، بل في التَّضرُّع وتصفية الباطن، والتيقُّن في الإجابة.

وأمَّا في النوم، فعليه أن ينام تائبًا سليمَ القلبِ مستقبلًا القبلة على الطهارة والسواك، في الحديث: «إذا نام العبد على طهارة عُرج بروحه إلى العرش، وكانت رؤياه صادقة»، وأن يكون إعداد الوضوء والسِّواك عنده، ويَنوي القيامَ للعبادة، ولا يَتنعَّم بالفُرُش الناعمة، ولا يَتكلَّف، فإنه الموتُ الأصغر، ويدعو بالدعوات المأثورة، وليَقرأ عشرًا مِنْ أوَّل سورة الكهف، وعشرًا من آخرها، فإنهما للاستيقاظ لقيام الليل.

وأمَّا في الأكل، فكما هو قبله، وذلك أن يكون طيِّبًا بعدَ كونِه حَلالًا، وهو ألَّا يَشوبَه أَذَى الغير، ويَنْوي به التقوّي، ويَرْضى بالحاضر، ويأكل على السُّفرة الموضوعةِ على الأرض، ويأكلُ أكْلَ العبيد، ويجلس جلوسهم وما هو معه، كذلك أن يبدأ بذكر الله تعالى، ويختمه به، ولو قال مع كل لُقمةٍ: «بسم الله» فهو أحسن[1]، ويجهَر به ليذكر غيره، ويُصَغِّرُ اللُّقمة[2]، ويُبالغ في المضغ، ولا يَمُدَّ يده إلى الأخرى إلا وأنْ يبتلعها، ولا يَذُمَّ ما يأكله، ويأكلُ مما يَلِيه - إلا في الفاكهة - ولا يَقطَع اللَّحم بالسكين، فإنه وَرَدَ فيه النهي، ولا يمسح يده بالخبز، بل يُكرِمُه بكل وجهٍ، ولا يَنفُخ في الحارِّ منه، ولا يُكثر الشُّرب في أثنائه إلا بضرورة.

وما بعده فهو الإمساكُ قبل الشِّبَع، ويَلْقُطُ الفُتاتَ، ويَلْعَقُ القَصْعَة، ثُمَّ يَمْسَحُ يَدَيْهِ بالمنديل، ويغسلهما، ويشكر الله تعالى بقلبه على ما أنعم عليه، ويدعو بلسانه، وإن أكل طعامَ غيره فلْيَدْعُ له، وما عدا هذه الجُملة مِنَ الآداب فظاهرٌ.

---

(١) لا أصل بهذا العمل في السنة.

(٢) روي في حديث لا أصل له.

وأمَّا في الشُّرب، فذلك أن يأخذ الكُوز بيمينه، ويَشربه مصًّا - لا عَبًّا - في ثلاثة أنفاسٍ، يقول في الأول: « بسم الله»، وفي الثاني: «الحمد لله» وفي الثالث: «ربِّ العالمين»، ولا يشرب قائمًا، ولا مضطجعًا، وينظر فيه، ولا يتنفَّس، ثُمَّ يُدار الكُوز يُمْنَةً.

وأمَّا في الاجتماع على الطعام، فذلك أن يُقدِّم الأفضل علمًا ووَرَعًا، وأن يتحدَّث عليه بالذِّكْرِ الصالح، وأن يَرفق برفيقه، ولا يُحوِجه أن يَلْتَمِسَ منه أن يأكل، ولا يُراقب أكلَ الغير، ولا يَقصد طعام الغير، فإنه ﷺ قال: «مَن مشى إلى طعام لم يُدْعَ إليه مشى فاسقًا، وأكل حرامًا»[1]، وإن صادَفَه من غير قصدٍ يَنتظر الإذنَ، فإنَّ إذنه عن محبة، ولا ينتظر إذا اطمأن قلبه بالصداقةِ.

وأمَّا في تقديم الطعام، فأنْ يَترك التكلُّف، ويُحضِرَ ما حَضَرَ، وإن خُيِّرَ بَيْنَ شيئين يختار أيسرَهما، ولا يُشاوره في الطعام بل يُقدِّم، فإن أكلَ، وإلا فَليَرْفَعْه.

وأمَّا في الضيافة، فأن يقصد بدعوته الأتقياءَ، ولا يُمَيِّز الإجابة بَيْنَ غنيٍّ وفقير، ولا يَمتنع عن الإجابة لبُعدِ المسافة، إلا إذا كان بعيدًا جدًا، ولا يمتنع لكونه صائمًا، فإن يسر أخاه يُفطر، وإلا فلا، لكن يمتنع إذا كان فيه شُبهةً، وينوي به الاقتداء بالرسول ﷺ في إكرام أخيه، وإذا حضر فلا يتعجَّل عليهم بحيث يُفاجئهم قبل أن يَستَعِدُّوا، ولا يُطَوِّل الانتظار عليهم، ولا يَتصَدَّر بل يأخذ مكانًا يَليق به، وليُعرِّفْهُ القِبلةَ، وبيتَ الماءَ، وموضعَ الوضوءِ.

---

(١) ضعيف لا يصح بوجه: انظر (الضعيفة) ٥٠٤٣.

وأمَّا في الإعداد، فأن يُخفي، قال تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾[الذاريات: ٢٦] وأنْ يَعْجَلَ، قال تعالى: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ﴾ [هود: ٦٩]، وأن يُقَدِّمَ الفاكهةَ واللَّحم على الطعام، ومن [الا....] وأن يُقَدِّم الألطف، ولا يُبادر إلى رفعها، ويُقدِّم من الطعام قَدر الكفاية، ويَعْزِل - أوَّلًا - نصيب أهل البيت، لكي لا تكون أعينُهم طامحةً إليه، والباقي، مِنْ خُروج الضيفِ طيِّبَ النَّفْس، وخروج المضيف معه، وغير ذلك ظاهرٌ، ثُمَّ الأكلُ في السوق حَسَنٌ، إذا كان للتواضع، فأمَّا إذا لم يكن للتواضع يكون قبيحًا.

وأمَّا في النكاح مِنْ تقديم الخِطبة مِن غيرها، فظاهرٌ، ويُستحب أن يَنظر إلى المخطوبة قبل العَقد، وأن يَعقِد في المسجد، وفي شهر شوال، والمقاصدُ فيه ثمانيةٌ: الدِّينُ، والخُلقُ، والحُسن، وخِفَّةُ المهر، والولادة، والبكارة، وألَّا تكون قَرابةً قريبة، وأن تكون من أهل الصلاح، ولا يُبالغْ في المزاح معها، ولا في الغَيرة.

وأمَّا في الإفضاء إليها، فأن يبدأ بالتسمية، وسورة الإخلاص[1]، ثُمَّ يقول: اللَّهُمَّ اجعلها ذُريَّةً طيبةً، وعند الإنزال يقول في نفسه: الحمد لله الذي خَلَق مِنَ الماء بَشَرًا، وليُقدِّم التلَطُّف، ولا يَستقبل القبلة، ففي الحديث: «لا يقع أحدكم على المرأة كما تقع البهيمةُ»[2]، ويُكره في ليلةِ أوَّلِ الشهر، وآخِره، ونصفه، برواية عليٍّ، وأبي هريرة رضي الله عنهما[3]، ومنهم [من] استحب يوم الجمعة، وقيل: إنه قبل الاغتسال يُورِث الجُذام في الولد، والبواقي من آداب النكاحِ مشهورةٌ، وكذلك ما في الطلاق منها،

(١) لا أصل لقراءة سورة الإخلاص.

(٢) منكر: (الضعيفة) برقم (٦٠٧٥).

(٣) لا أصل له في السنة ولا يثبت عن الصحابة.

وما لا يكون مشهورًا منها، فذلك هو المبالغة في تَطْيِيبِ نفسها بالامتناع، وما يكون من اللوازم للمرأة منكوحةً أو غير منكوحةٍ، وذلك أن تكون قاعدةً في قعر بيتها، مشغولةً بما هو من المصالح، قليلةَ الكلام، لا تُخالِط جيرانها إلا أحيانًا، وتُراعي جانبَ الزوج، وتحفظُه في الحضرة والغَيْبة، غيرَ مفتَخِرَةٍ بحُسنها وجمالها، ولا تَخرج من بيتها، وإن خرجَتْ خرجتْ مختفيةً في هيئة. في الحديث: «حرَّم اللهُ تعالى على كل آدمي دخول الجنة قبلي، غير أني أنظر عن يميني فإذا امرأةٌ تُبادر إلى باب الجنة، فأقول: ما لهذه؟ فيقال: هذه امرأةٌ حسناء عندها يتامى فصبرتْ عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ، فشكر الله تعالى لها ذلك»[1].

وأمَّا في البيع والتجارة، فأنْ يترك الثناء على السِّلعة إلا بقدر الضرورة، وأن يُظهر جميعَ عيوبها، وأن يَصْدُق في سعر الوقت، وإنما نهى الشرعُ عن تَلَقِّي الرُّكبان لهذا، فهذه كلها من [....] والباقي ظاهرٌ، ثُمَّ الإحسانُ فيه أن لا يغبن صاحبه بما لا يُتَغابن به عادةً، ومن الإحسان احتمالُ الغَبْن مِنَ الضعيف ليدخل في دعاء النبي عليه السلام: «رحم الله امرأ سهْل البيع»[2]، ومنه الإمهال أيضًا، وبالجُملةِ فالدرهم محكُّ الدِّين، فالمرءُ عندَه.

وينوي بالتجارة والكسبِ الاستعفافَ عن السؤال، والسعيَ على العيال، فإن في طلب الزيادة ما فيه، ولهذا يُستحب الاشتغالُ بصناعةٍ هي وسيلةٌ إلى البقاء، ولا يُستحب بغيرها، كالصياغة - مثلًا - بل يُكرَه ذلك، ويَنبغي أن لا يَمنعه شوقُ الدنيا مِن شوقِ الآخرة، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا

(١) ضعيف: وروي بلفظ آخر أيضاً. (الضعيفة) ٥٣٧٤.

(٢) صح بلفظ قريب: متفق عليه.

تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ ﴾ [النور: ٣٧] ولا يكون شديدَ الحرصِ، فإنَّ في الحديث: «شرُّ الناس من دَخَل أوَّلًا في السوق، وخرج آخِرًا منها»[١].

وأمَّا في الصُّحبة والأخُوَّة، فالذي يَصلح لها أن يكون فيه خمس خصال: العقل، وحُسن الخُلق، والامتناعُ عن الفسق، والابتداعِ، والحرصِ على الدنيا، ومِنْ حقِّ الصُّحبةِ المواساةُ بالمالِ، لا بالمساواةِ، بل بقَدْر الكفايةِ، والإعانةُ بالنفس فيما له حاجة، والمبادرةُ إليها قبل السؤال بالبشاشة، والتقديمُ على حوائج نفسه، والنصرةُ في سائر الأمور، والعفوُ عن زلَّاتِه، والدعاءُ بعدَ وفاتِه، والسُّكوتُ عن مَعايبه في الحضرة والغَيْبة، والقَدْح فيما يَتَّصِل به، ثُمَّ من اللوازمِ أن لا يتجسَّسَ على أحواله، بل يَظنُّ به خيرًا ويسكتُ عن إفشاء سِرِّه، فإنَّ من الأمثال:

صُدورُ الأحرارِ قُبورُ الأسرار.

قال الشاعر:

وتَرَى الكريمَ إذا تَصَرَّم وَصْلُه يُخفِي القبيحَ ويُظْهِرُ الإحسانا
وترى اللئيمَ إذا تَقَضَّى وَصْلُه يُخفي الجميلَ ويُظهرُ البُهْتانا

ومن الموانع أيضًا أن يترك التكلف والتكليف، ولا يصادق عدوَّه بل يُعاديه.

وأمَّا في المعاشرةِ مع العامَّة وحقوق أهل الإسلام أن يُسَلِّم عليهم ابتداءً، ويُجيبهم عند الدعاء، ويُعِينهم فيما يَصِحُّ الإعانةُ فيه، ويَستغفر لمذْنِبهم، ويُحبَّ تائبهم، ويُحب لهم ما يحبُّ لنفْسِه، ويَكرَه لهم ما يَكرَهُ لنَفْسِه، ويُوقِّر كِبارَهم ويَرحَمَ صغارَهم، ولا يأتي بالنميمة، ولا يَقبلها، ولا

---

(١) لا أصل له صحيح.

يَتكَبَّر عليهم بل يكون معهم مستبشرًا طَلْقَ الوَجْهِ سيّما مع الضعفاء، فإنَّ مِنْ حَقِّهم الإحسان إليهم.

وأمَّا الشفاعة وإصلاح ذات البَيْن، وعيادةُ المرضى وغير ذلك، فإنها من الظواهر. وأمَّا في العيادة، فاللازمُ خِفَّةُ الجلسة، وقِلَّةُ السؤال، وإظهار الرِّقَّة، والدعاءُ بالعافية، وغضُّ البصر، واللِّين في الإعلام، والدخول عليه، وإذا قيل: مَنْ أنتَ؟ لا يقول: أنا.

وأمَّا المريض، فعليه أن يَصبِرَ ويَشكر، ويدعو ويتوكَّل على خالق الدواء. وأمَّا في التعزية، فخفضُ الجناح، وإظهارُ الحزن، وقلَّةُ الكلام، وتَركُ التَّبَسُّم، وفي تشييع الجنازةِ لزومُ الخشوعِ، وتركُ الحديث، وملاحظة الميت، والتفكر في الموت، والاستعداد له.

وأمَّا في حقوق الجار، فالتهنئةُ وإظهارُ الفرحِ، وإقامةُ مصالحه بقَدر الوُسع فيما يَقَعُ من السرور وغيره، والصفحُ عن زلَّاته، وتركُ الاطِّلاع على عوراته، وترك المضايقة في موضع الجذع ومصبِّ الماء، ومَطْرَح التراب والثلج، وملاحظة داره عند غَيبته، والاحتراز عن كل ما يُفضي إلى عداوته، والمبالغةُ في السؤال عن حاله، والإقراضُ عند الحاجة.

وفي حقوق الأقارب صِلَتُهم، وإنْ هَجَروا، في الحديث: «أفضل الصدقة على ذي الرَّحم الكاشح». وكتب عمر رضي الله عنه إلى عُمَّاله: «مُرُوا الأقاربَ أن يتزاوروا ولا يتجاوروا».

وأمَّا في حقوق المملوك، فأن يُطعمه مما يأكل، ويَكسوه مما يَلبس، ولا يُكلِّفه من العمل ما لا يُطيق، وأن تَبيعَه إذا كَرهته، وأن لا تنظرَ إليه بعين الازدراء، وأن يَذكُر عند الغضب كثرةَ معاصيه، وقدرةَ الله تعالى عليه، ومع ذلك أنه يُنْعِمُ عليه.

وأمَّا في العُزلة أنها حسنةٌ لمن لَمْ يُطِق الوفاء بحقوق الناس، فينوي

طلب السلامة من الأشرار، والخلاص من آفة القُصور عن القيام بحقوق الناس، وليُواظِبْ على العلم والعمل والذِّكر، وليَقْنَعْ باليسير، وليَحترِزْ عمَّا يشوِّشه خصوصًا من أخبار الناس، فإنها منبع الوسواس، ولا يَعْبَأ مِنَ المدح والقدح، وليكن قصيرَ الأمل، كثيرَ العمل.

وفي السَّفَر يبدأ أولًا بِرَدِّ المظالم، وقضاء الديون، وردِّ الودائع، وإعداد النفقة، وليُوسِّعْ على أصحابه في السفر، ويختار رفيقًا، فالرفيقُ ثُمَّ الطريق، وليُؤَمِّرْ أحدَهم دفعًا للفُرْقَة، ويُودِّع رفقاءَ الحضر، ويُصلِّي صلاة الاستخارة، وإذا خرج من داره يقول: «بسم الله توكلتُ على الله»[1]، ويُستحبُّ السيرُ بالليل، فإذا أشرفَ على المنزل فليقل: «اللَّهُمَّ ربَّ السموات السبع ورب الأرَضِين»[2]، ويحتاط بالنهار، والباقي ظاهرٌ، كالتناوُبِ للحراسة بالليل، والترفُّق بالدابة، وحمل ما يُحتاج إليه أي شيء كان من الأمتعة، وإذا أشرفَ على مدينة فليقل: «اللَّهُمَّ اجعل لنا بها قرارًا ورزقًا حسنًا»، ثُمَّ الدعوات المأثورة في هذا الباب، لكنَّ ذِكرها لا يليق بهذا الكتاب، ولا خفاءَ في أنَّ الآدابَ تختلفُ باختلاف الأحوالِ والأشخاص والأماكن والأزمان، وسيوجد منها ما يوجد في بيان الأخلاق، إن شاء الله.

أمَّا الأخلاق، فلنذكر منها على التفصيل أنَّ الخُلق ما هو؟ وما سببه؟ وما علاجه؟ ولنُرَتِّبْ أبوابَها كما رتَّبها الإمامُ، الهمامُ، الفاضلُ، الكامل، خلاصة آل الرسول، ناصرُ الحقِّ والدين السَّمَرقنديُّ - قدَّس الله روحه - وذلك على ترتيب حروف المعجم، إذْ هوَ بالاعتبارِ أجْدَرُ، وعلى الطالب أيْسَرُ.

---

(١) دعاء الخروج صح بلفظ أطول من هذا.

(٢) دعاء دخول القرية صحيح.

باب الألـف

الاستكبار[1]: الاستكبارُ طَلَبُ الكِبْرِ، والتكبُّر تكلُّفٌ فيه، والكِبر هو الشعورُ بوجهٍ مِنَ العُلوّ، فالإنسانُ إذا ظنَّ عَظَمَة نفسِه فذلكَ هو الكِبر، وإذا أظهَر ذلكَ بأفعالِه وأقوالِه فهوَ التكبُّر، وإذا أنعم على الغَير وتواضع له طلبًا للخدمة، فهو الاستكبار.

وأمّا السببُ فذلك هو الجهلُ بعظَمة حضرة الله تعالى وكبريائه، واختصاصِ العلوِّ بحضرتِه - تعالى وتقدَّس - وكذلك بأحوال نفسه من أوَّلِه إلى آخره، فإنه لا يعلم أنه لم يكن موجودًا فكان، ولما وُجِدَ فهو عاجز، لا يقدر على دفع ما يؤذيه من البراغيث وغيرها، وكما أنَّ جهله من الأسباب، فكذلك حِقدَه وحسده وغضبه.

فصل

ثُمَّ الكِبْرُ في طَرَفٍ، والذُّلُّ في طَرَفٍ، والتواضع بَيْنَهما، وهذا هو المحمودُ ليسَ إلا، وكما أنَّ الكبرَ على الأنواع بالإضافة، فإنَّ من يَدَّعي الربوبيةَ، واستنكفَ عن العبودية فكِبرُه على الحضرة، ومَن يَمتنع عن طاعة الرسول، وإجابةِ دعوتِه فكِبرُه على نَبيّه، وعلى هذا في الغير، فكذلك غيره، ولا خفاء في أنَّ كل واحد منهما يحصل باختلاف المحل.

---

(١) في الحاشية بخط مغاير: اعتذر المؤلف - رحمه الله تعالى - في آخر الكتاب عن ذكر الاستكبار ونحوه في باب الألف، وحقه باب الكاف؛ لأنه من الكبر.

فصل

وأما الأخلاق الذميمة والأفعال القبيحة نحو التَّبَخْتُر في المشي، والتربُّع في الجلوس وغيرهما، فإنها من الظواهر، وعن النبي ﷺ أنه قال: «من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى رجل قاعد وبَيْنَ يديه قوم قيام»[1]. وعن أبي الدرداء: «لا يزال العبدُ يزداد بُعدًا من الله تعالى ما مُشي خلفه».

وأمَّا أسبابه على التفصيل: كالنَّسَب، والحَسَبِ، والمال، والجمال، والقوة، والعلم، والعبادة، والورع، فالنظرُ في كل واحدٍ منها مِن غير أن يراها من الله تعالى، أو يراها منه، ولا يخافه يُفيد الكِبْر.

فصل

ثُمَّ العلاج نوعان: إجماليٌّ وتفصيليٌّ. والإجمالي: إمَّا علميٌّ وإمَّا عمَلي، أمَّا العلمي فذلك بالنظر في الأدلة السمعية والعقلية، قال تعالى: ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢]، وقال عليه السلام: «لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل»، وقد ورد من الكتاب والأخبار كثيرٌ في هذا الباب، وأمَّا العملي فذلك صُحبة الفقراء، وسماع أخبارهم وحكاية أحوالهم خصوصًا لنبيِّنَا عليه السلام، فإنها النهاية في التواضع.

وأمَّا التفصيلي: فإنه عما هو بالنسب: أن يَنظر إلى دناءة نفسه وخِسَّتها، وقد قال الشاعر:

وما يَنفعُ الأصلُ مِنْ هاشمٍ ... إذا كانتِ النَّفْسُ مِنْ باهِلَهْ

---

(١) لا أصل له مرفوعاً.

وعما هو بالجمال: أن ينظر إلى باطنه ومبدئه ومعاده، وجواز تغير أحواله، حال حياته، وعما هو بالمال: أن ينظر في العوارض السماوية وغيرها من غصب وسرقة، وعما هو بالعلم: وهو أشد أسباب الكِبْر، أن ينظر إلى تقصيره، وأن علمه الذي لا يعمل به حُجَّة عليه، وعلى هذا في الغير.

فصل

ثُمَّ الكِبْر حَسَنٌ في نفسه، وكيف لا؟ والكبرياءُ صفةٌ من صفات الله تعالى، إلا أنه قبيحٌ متى وُضِعَ في غير موضعه، ومِنْ مواضِعِه معاركُ الحَرْب، وأماكنُ الأغنياء، قال عليه السلام: «من تواضعَ لغنيٍّ لغناه ذهب ثلثا دينه»[1]. وقد قيل في: التكبُّر على المتكبِّر صدقةٌ، أنه من الأحاديث النبوية.

الإيثار: قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]، فالإيثار أن تعطي غيرك مع حاجتِك إلى ما تعطيه، ومهما كانتِ الحاجةُ أشد كان الإيثارُ أحسن، وهو أرفع درجات السخاء، كما أنَّ الشُّحَّ، وهو أن يمنع ماله ويقصد على مال غيره، أسفل درجات البخل، وإنه - أي الإيثار - قد يكون في النفس، كما نُقل عن علي رضي الله عنه أنه باتَ ليلة الهجرة في فراش النبي عليه السلام، وقد يكون في الغير كذلك وهذا ظاهر، والسببُ كرم الطبع، والعلمُ بفضائله وآثاره الحسنة، والعلاجُ الذي يُقوِّيه إمَّا علمي: وهو النظر في الأدلة مثل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ [آل عمران: ٩٢]

(١) موضوع لا أصل له بهذا اللفظ وروي موقوفاً على ابن مسعود ولا يصح أيضاً.

وغيره، والنظر في قُرب زوال اللذة، وبقاء فضيلة الإيثار بالثناء في الدنيا والثواب في الآخرة، وإمَّا عملي: وهو معاطاة الإيثار حتى يصير التخَلُّق بالتكرار خُلقًا.

الاستهزاء: وهو السخرية هو الذي يدُلُّ على استحقار الغير حاضرًا كان ذلك الغير أو غائبًا. وسببه: الطيش والخفة مع الجهل بقدر الغير، ولهذا كان الاستهزاء بالكافر حرامًا، ومنه الضحك على الخطِ المشوَّش وغيره، وعلاجه العلمي: هو النظر في الأدلة، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ وغيره، ولعل المستهان خير منه، قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١]. والعملي هو التفكر والتذكر لنفسه.

إفشاءُ السرِ: قبيحٌ لما فيه من الإيذاء والتهاون، وسببه: الطَّيْش والخِفَّة والعجلة. وعلاجه: أن ينظر في أن الناس يمتنعون عن صُحبته ويتنفرون عنه، فينفرون.

الإخلاص: هو التصفية، وفيما نحن فيه تصفية العمل لله تعالى، فالباعث إن كان واحدًا فهو خالص لله تعالى، أو لغيره وإلا فلا، وسببه: التوحيد ورؤية الكلِّ من الله تعالى، وعلاجه: الذي يُقويه النظرُ في الأدلة النقلية والعقلية، قال تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٤]، وفي الحديث: «ما من عبد يخلص لله تعالى العمل أربعين صباحًا إلا وقد ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[١]، وفي الخبر: «أنَّ المرائي يُدْعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا مخادع، يا مشرك، يا كافر»، ثُمَّ

(١) موضوع لا أصل له، وقال الذهبي: باطل، رواه ابن الجوزي في الموضوعات. وروي مرسلاً بسند ضعيف كما قال الألباني في الضعيفة برقم (٣٨).

الذي يُكَدِّر العملَ ويخرجه عن الإخلاص.

أمَّا الإنابة والأوبة فإنها عبارة عن الرجوع كالتوبة، وقيل: التوبة هي الرجوع عن المعاصي، والأوبة عن الدنيا، والإنابة عما سوى الله تعالى، ثُمَّ الأسباب فيها ظاهرة يعرف بالتأمل.

الإنسانية: أنها فيما نحن فيه عبارة عن أفعال تختصُّ بالإنسان من الأفعال الحسنة نحو: اللطف والإحسان والعلم والعقل والفطنة والذكاء، وسببه: الكرم وصحبة الكرام، وطلب العلو وعزُّ النفس، والباعث عليه أسباب السماحة والشجاعة.

الأَرْيَحِيَّة: هو الاهتزاز للإحسان بالمال والجاه، وكأنه اسمٌ لنهاية الجود والسخاوة الناشئة من الطبع، وسببه كَرَمُ الطبيعةِ، وعلاجه مذكور في الجود.

الزوائد في آخر باب الألف

ربما تعالج نحوًا من عبادات لا يُعرف عِلِّيتها إلا بنور النبوة كأعداد الركعات، وتقدير الزكوات، مثلًا كان النبي عليه السلام يصوم حتى يقال لا يُفطر، ويُفطر حتى يقال لا يصوم، وقد قال «إني لأمزح ولا أقول إلا حقًا»[1]. أوصى النبي عليه السلام معاذًا - رضي الله عنه - بتقوى الله وحُسن الحديث، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وحسن العمل، وقصر الأمل، ولزوم الإيمان، والتفقه في القرآن، وحبِّ الآخرة، وخفض

(١) صحيح بلفظ: (إنك تداعبنا)؟ قال: (إني لا أقول إلا حقًا). انظر (السلسلة الصحيحة) برقم (١٧٢٦).

الجناح[١]، وفي الحديث: «خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخُلق»[٢].

(١) حديث طويل رواه ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ والصواب ضَعفه فقط (ضعيف الترغيب) ١٨٤١.

(٢) ضعيف: وانظر (الضعيفة) برقم (١١١٩).

باب الباء

البخل: هو منع المال عن واجب الشرع والمروءة، وسببه: اللؤم، وحبّ المال، وضعف اليقين في الإيمان بالله تعالى، وبما جاء من عند الله، وعلاجه العلمي: هو النظر في الأدلة كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [مُحَمَّد: ٣٨]، وغير ذلك، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة بخيل».

فصل

ثُمَّ إنه إنْ منع ماله عن الغير، وأخَذَ مالَ الغير حلالًا كان أو حرامًا، فهو شحيحٌ، وإن منع ولم يأخذ من الغير، فهو بخيل، وإن أعطى كل ذي حق حقه لا غير، فهو مقتصد، وإن أعطى بالسؤال لا غير، فهو سخي، وإن أعطى بسؤال وغير سؤال، فهو جواد، ولهذا يقال لله تعالى: إنه جوادٌ، ولا يقال: إنه سخي. وإن أعطى وهو محتاجٌ فهو مُؤْثِر، وهو النهاية في السخاوة، وإن كان لا يرضى طبعُه إلا بالإعطاء ويظهر له أمثال السكر في لذة الإعطاء فهو أرْيَحِيٌّ، وإن كان أعطى، ولا يريد جزاءً ولا ثوابًا، فهو كريم، وإن أعطى ولا يريد إلا ثواب الله تعالى، فهو مخلص.

البَذاء: هو تَسَلُّط قوَّةِ النُّطق على العقل، وخصوصًا في الفواحش، وإنه من الأخلاق الذميمة، والسبب فيه ظاهرٌ نحو الغفلة وغيرها، والعلاج كذلك يعرف من بعد.

وأمَّا **البيان**: وهو الإظهار، فإنه لا يكون قبيحًا في نفسه بل إذا وُضع

في غير موضعه، كإظهار الباطل في معرض الحق وأمثاله، وسببه: الغفلة عن آفات اللسان في الدنيا والآخرة، ومما قيل فيه: إنه صغير جِرْمه، كبير جُرْمه. وعلاجه: النظر في كلام الرسول، فإنه قال فيما قيل له: ما النجاة؟ قال: املكْ عليك لسانك[1]. وفي الحديث: «من وُقِيَ شرَّ لَقْلَقِهِ وقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِه فقد وُقِيَ الشرَّ»[2]، يعني شرَّ بطنه وفرجه ولسانه. والواردُ من الأخبار والآثار في فضيلة حفظه متعدد. قال الشاعر:

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكَّل بالمنطقِ

ومن عرف آفات الكلام قل كلامه.

البَطَالة: هي الكسل عما يَعْنِيه مع الاشتغال بما لا يَعنيه، وقد يُطلق على الكسل أيضًا.

البَطَر: هو الأشَرُ، وهو شدَّة الفرَح بحيث تظهرُ آثار الخفَّة في الحركات والسَّكَنات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]، أي بطَرًا. وقال عليه السلام: «إيَّاكم ومجالسة الموتى، قيل: مَنْ هم؟ قال: كلُّ غنيٍّ أبْطَرَهُ غِنَاه»، وهو في الحقيقة من أعراض الفرح، ويُعرف بتمامه في ذلك.

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع الصغير (٢٢٧٢).

(٢) ضعيف جداً: انظر الضعيفة برقم (٢٤٤٨). وصحّ بلفظ آخر: (من وقاه الله شر ما بين لحييه وشر ما بين رجليه دخل الجنة).

باب التاء

التواضع: قد مرَّ ذِكره في فصل الكِبْر، قال عليه السلام: «ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله تعالى»[1]. وفي الحديث: «ما من أحدٍ إلا ومعه ملكان، فإن رفع نفسه قالا: اللَّهُمَّ ضَعْهُ، وإن وضع نفسه، قالا: اللَّهُمَّ ارفعه»[2]، وعنه عليه السلام: «طُوبى للمتواضعين في الدنيا هم أصحابُ المنابر يوم القيامة»[3]، وفيه ما فيه من المنقول والمعقول.

فصل

ربما يُظَنُّ الذُّلَّ والخساسة تواضعًا، وذلك غلطٌ؛ إذِ الذُّل مذمومٌ، قال عليه السلام: «ليس للمؤمن أن يُذِلَّ نفسَه» والذل المذموم قد يكون ظاهرًا، وهو أن يتعاطى أفعال المتواضعين لمن لا يُؤمَّل لذلك، وقد يكون باطنًا يظهر آثاره وهو اعتقاد العظمة والكبرياء لغير الله تعالى، فيخافه ويرجوه، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فصل

ثُمَّ التواضع ليس إلا لله تعالى، فإن من تواضع لغير الله، فذلك لله، قال تعالى ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ومن تواضع لغيره لما

---

(١) صحيح: رواه مسلم.

(٢) ضعيف بهذا اللفظ وثبت بلفظ آخر. انظر (الصحيحة) برقم (٥٣٨).

(٣) لا أصل له مرفوعاً. ويروى عن عيسى عليه السلام.

له من المال والجاه، فذلك باطل، نعوذ بالله من ذلك.

التوحيد: يُذكر ويراد به التلفظُ بكلمة الشهادة، والاعتقاد بها، ويُراد به - أيضًا - أن لا يضرى إلا الواحد الحي القيوم، إليه يرجع الأمر كله.

التَّوَكُّل: وهو التفويض إلى الله تعالى والاعتماد عليه، والثقة به، فالمفوِّض يُسمَّى متوكلًا، والمفوَّضُ إليه الأمر يُسمى وكيلًا، والله تعالى هو الوكيل كما أنَّ الأمر كله بيده في الحقيقة، وهو عالم قادر قوي متين رحيم، فحقيقٌ أن يُفوَّضَ الأمرُ إليه ويُعتمَد عليه، قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وعن النبي ﷺ: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما تُرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا»[١]. وقرأ إبراهيم الخوَّاص قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان: ٥٨] فقال: «ما ينبغي للعبد بعدَ هذه الآية أن يَلجأ إلى أحدٍ غير الله سبحانه وتعالى».

وأمَّا تركُ الكسب، فليس من التوكل، بل منه تركُ الاعتمادِ على الكسب، فإن الأنبياء - صلوات الله عليهم - اشتغلوا بالأسباب، فأكلوا وشربوا.

والاشتغال بالكسب مع التوحيد بالقلب في الرزق ليس إلا إظهار الخشوع والعبودية والذل والفاقة، وهذه الأشياء سرُّ الدعاء، وهو مُخُّ العبادة، وقد جاء في الخبر: «الكاسب صديق الله تعالى»[٢]، قال تعالى:

---

(١) صحيح: انظر الصحيحة برقم (٣١٠).

(٢) لا أصل له.

﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [المزمل: ٢٠]الآية.

فإذن ما يختص به المتوكل أن يترك الاعتماد على الأسباب أصلًا، وأن يترك الأسباب البعيدة كذلك، فإن الاشتغال بها يَدُلُّ على نهاية الاعتماد، والله تعالى يقول: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٢] الآية.

فكما أنه يجري على لسانك عند النطق من الحروف وغيرها من غير سابقةِ استعدادٍ، فكذلكَ الرزق، ألم ترَ أنك كنتَ جنينًا وطفلًا ورضيعًا ما أضاعَك.

جرى قَلَمُ القضاءِ بما يكونُ فسيّان التحرك والسكونُ
جنونٌ منكَ أن تَسعى لرزقٍ ويُرزَقُ في غِشاوَتهِ الجَنينُ

اللَّهُمَّ إلا أن ينشد بنيَّة الاعتماد عليه، وعليه أن يصحِّحَ توكُّله حينئذٍ. وأمَّا حكايات المتوكلين فكثيرة، تعرف من الكتب المطوَّلة.

التَّشَدُّق: هو تفعُّلٌ من الشِّدْق وهو التَّكَلُّم بطَرَفِ الفَمِ، إمَّا تَفَصُّحًا أو رعونة وبَطَرًا، وقد ورد النهي عنه في الشرع، في الخبر: «شرار أمتي الذين وُلدوا في النعيم وغُذُّوا به»[١]. إنما همَّتُهم ألوانُ الطعام وألوان الثياب يُشدِّقون في الكلام، قال عليه السلام: «إنَّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا الثرثارون المتفيهقون المتشدِّقون»[٢]، ومنه التكلُّف في السجع، وقد أنكره الرسول ﷺ على الذين أجابوه بالسجع، فقال: «سجعًا كسجع الكهان»[٣].

(١) حسن: انظر (صحيح الترغيب والترهيب) برقم (٢١٤٩).
(٢) حديث صحيح: انظر (السلسلة الصحيحة) برقم ٧٩١.
(٣) حديث صحيح: متفق عليه بلفظ (إنما هذا من إخوان الكهان).

التَّقَعُّر: في الكلام والتعمُّق فيه والتنطُّع كلها متقاربة المعاني من التشدُّق، وعلاجها: علاج الكِبر والعُجب، والذي يختص به النظر في آفات كلامه مما يختص به من وجوه الخطأ والغلط لفظًا ومعنىً.

التَّكَلُّف: تفعُّل من الكُلفة، وهو أن يفعل ما يَشُقُّ عليه، فإن كان لغرضٍ فاسد، فهو مذموم جدًا، قال عليه السلام: «أنا والأتقياء من أمتي برآء من التكلف»(١). وعنه عليه السلام: «لا تتكلفوا للضيف فتُبغضوه، ومن أبغض الضيف أبغضه الله تعالى»(٢)، ومِن آفاته أنه لا يُمْكِنه المواظبةُ عليه، وأفضل العمل ما دِيمَ عليه، وإن قَلَّ. واعلم أنَّ التكلف حسَنٌ لاستجلاب الطبع والخلق إلى ما هو الحسن عقلًا وشرعًا والرياضة وتحسين الأخلاق وتطهير النفس لا يكون إلا بالتكَلُّف، فالعِلْم بالتَّعَلُم، والحِلْم بالتَّحَلُّم، غير أنه يحسن بضروبه.

التَّهَوُّر: هو الوقوع في الشيء لقِلَّةِ مبالاته، وهي الشجاعةُ إذا جاوزتْ حدَّها، وسببه: الجهل بقدر الحياة ومقادير الأشياء، وعلاجه: تعريف هذه الأشياء والأسباب المجَنِّبَة، ولعل كل متهَوِّرٍ سريعُ التغير إلى الجبن، والمرضي من الشجاعة ما قد لا يمنعه عرفان مقادير الأشياء، فلا كل مرء يفوت قدر الحياة عن قلبه، وكأن الشاعر لاحظَ هذا المعنى حين يقول:

فلستُ بِمُبْتاعِ الحياةِ بسُبَّةٍ ولا مُرْتَقِي من خَشْية الموتِ سُلَّما

التَّهاوُن: تفاعلٌ من الهُون، وهو خلاف الاعتبار، وسببه: الجهلُ بعواقب الأشياء ومقاديرها، ومنافعها ومضارها، وهو سبب التواني - أيضًا

(١) ضعيف: انظر تخريج الإحياء للعراقي.

(٢) قال السبكي: لا أصل لهُ وهو كما قال فلا أصل له بهذا اللفظ وروي مختصراً بسند ضعيف. وصحّ بلفظ: (نهى عن التكلف للضيف): انظر صحيح الجامع برقم (١٢٨٢٧).

- فالمذموم منه هو التواني، وذلك ترك العمل إلى غدٍ، والتهاون: ترك العمل الذي يقتضيه الحالُ، والمحمودُ هو التأنِّي، وهو تفعُّلٌ من الأناة.

والتواني: تفاعلٌ من المواناة، وهو التقصير والتهاون، من حيث ترك الالتفات إلى الحادث الذي هو سبب الذل في الدنيا والآخرة، ومَن تهاون بأسباب المسَبِّب القهَّار فحقيقٌ أن يَهُونَ ويُهان، بل لا تبديل لخلق الله، فهو في الحقيقة مُهينٌ نفسَه، بل الله تعالى يهينه، ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨] وقيل:

إذا ما أهانَ امرؤٌ نفْسَه   فلا أكْرَمَ اللهُ مَنْ يُكْرِمُه

التنافُس: يُذكر مع الحسد.

التصَنُّع: مع الرياء.

التكبُّر: قد مرَّ.

التنعُّم: كذلك مع الهوى، إذ ليس إلا الجري على موجب الهوى.

التشبُّع: في الحديث «من تَشبَّع بما لا يَملك كان كلابس ثَوْبَي زُور»[1]، وإنه كذبٌ، وسببه: حبُّ الجاهِ، فيصير سببًا للذُّل: من تحلَّى بغير ما هو فيه فضحَ الامتحانُ ما يدَّعيه. ويتوجَّه نحوَه الأطماع بحيث لا يمكنه الوفاء بها، والمحمود من هذا الجنسِ:

التَّجَمُّل: وهو أن يُظهر الجمال بحيث لم يوقف على فقره، فكتمانُ الفَقْرِ مندوبٌ إليه لما فيه من عزة النفس، والصبر على البلاء، والشكر على

---

(١) حديث صحيح بلفظ: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور) متفق عليه، وصحّ بلفظ: (من تشبع بما لم يعط...).

ما بقي من النعماء، فأما مجاوزة الحد إلى الكذب والتزوير فاعتداءٌ، والله لا يحب المعتدين.

التفضُّل: يُذكر في الجود والعفو.

التجمُّل: يذكر في الصبر.

باب الثاء

الثَّبات: يذكر مع الصبر.

الثِّقَل: قد يكون خَلْقِيًّا مثل ما يوجد في الذي يثقل على القلوب، وإن كان جميلَ الصورة، نعوذ بالله منه، وقد يكون خُلُقيًا مثل ما يوجد في الذي يتكلف في الحركات والسكنات، وغيرها من السلام والكلام، وأصدق أسبابه الطمع وطلب حق نفسه كما أنَّ أصدق أسباب المحبة عدمهما.

سئل واحدٌ: هل ذَكَرَ اللهُ تعالى الثقلاء في كتابه؟ قال: نعم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

وأمَّا ما يحسن منه فذلك على الأعداء، قيل:

ثِقالٌ إذا لاقَوْا، خِفافٌ إذا دُعُوا   كثيرٌ إذا شدُّوا، قليلٌ إذا عُدُّوا

والمحمودُ منه الوقارُ، وهو تَرْكُ الحركات في الأشياء الخسيسة، والثقل ترك الحركات فيما يجب مروءةً أو شرعًا، والمجموع الوسيط منه أن يتحرك حين تكون الحركة أفضل، وأن يسكن كذلك.

باب الجيم

الجبَروت: مصدر الجبَّارُ وهو المسلَّط، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٍ﴾ [سورة ق: ٤٥] وقيل: الجبار هو الذي يضرب ويقتل لغضبه. والجبار من أسماء الله تعالى، هو من قولهم: جَبَر الكَسيرَ، والله أعلم.

الجُود: هو إفاضة الخير، من قولهم: فرَسٌ جوادٌ، ومطرٌ جَوْدٌ، وإنه فوق السَّخاوة، ومن أسباب النجاة كذلك قال رسول الله ﷺ: «قال جبريل: قال الله تعالى: هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق»[1]. وقال ﷺ : «إن الله تعالى جوادٌ يحب الجود»[2]، وقال ﷺ: «طعام الجواد دواءٌ، وطعام البخيل داء»[3]، وقيل: إن الله تعالى أوحى إلى موسى صلوات الله عليه: «لا تقتل السامريَّ فإنه سَخيٌّ»[4]، وعن علي رضي الله عنه: « إذا أقبلت الدنيا فأنفق منها، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقى»، وأنشد:

لا تبخلنَّ بدُنيا وهي مُقْبِلَةٌ ... فليس يُنْقِصُها التبذيرُ والسَّرَف
فإن تولَّتْ فأحرَى أنْ تَجُودَ بها ... فالحمدُ مِنْها إذا ما أدْبَرَتْ خَلَف

وفيه الكثير من الآيات والأخبار والحكايات والأشعار.

---

(١) حديث موضوع باطل: انظر (السلسلة الضعيفة) برقم (١٢٨٢، ٣١٣٧).
(٢) حديث صحيح انظر صحيح الجامع برقم (١٧٤٤).
(٣) حديث موضوع: الضعيفة برقم (٣٨٢٤).
(٤) لا أصل له مرفوعاً.

الجِدال: هو شِدَّةُ المماراةُ والتصلُّبُ فيها من الجانبَيْن. والجَدالَة وَجْهُ الأرضِ لصلابتها، والأجْدَل القوِيُّ الشديد، سببه: المخالفة والقوَّة السَّبُعِيَّة، ومنه الحسَن إذا كان بالإنصاف لإظهار الحق، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] والأصل فيه الحظر والحرمة، وإليه أشار في الآية وكيف لا؟ وقد كان مشتملًا على الأذى والضرر والاستهانة والاستحقار بالمسلم والعُجب بكلام نفسه، والتكبر على غيره، والطعن في كلامه، ونسبته إلى الجهل والحمق. غير أنه يجوز إظهارًا لحقٍ يخفى بدونه فيما لا بُدَّ منه، فإن كان ظاهرًا فترْكُه أولى، قال عليه السلام: «مَن ترك المراء وهو محِقٌّ»[1]. الحديث، وعن مالك بن أنس رضي الله عنه: «ليس هذا من الدين»، وقال ﷺ: «لا يستكمل أحدكم حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محقًا»[2].

الجاه: وإن لم يكن خُلُقًا لكنَّ حبه والحرص عليه خُلُق، وحقيقة الجاه: مِلك القلوب، وأنه محبوبُ كلِّ طبعٍ، لما أنه ذريعة إلى ما يشتهيه، ولمَّا كان الجاه هكذا كان هو الروح للدنيا، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ﴾ [القصص: ٨٣]، الآية. ومن ذلك حب الشهرة وانتشار الصِّيت، والرسول عليه السلام، نهى عن الشُّهرتين.

ومن أسباب حبِّه أيضًا: خاصَّةٌ وُضِعَتْ في بني آدم، من حب التعالي والشوق إلى العظمة والكبرياء، ولذلك قال بعضهم: « ما من إنسانٍ إلا وفي باطنه ما صرَّح به فرعون من قوله: أنا ربكم الأعلى، ولكن لا يجدُ له

(١) حديث حسن: الصحيحة برقم (٢٧٣).

(٢) حديث ضعيف كما قال العراقي في تخريج الإحياء.

مجالًا»، ومن أسباب حبه أيضًا: شعور النفس بالكمال فيُصَدِّق به للذَّتِه، وإن كان كذبًا.

علاجه: النظر في عواقب الأمور، وفي مقصوده بهذه الوسائل، وفي أنه يتوجه إليه أنواع الضرر، فيصير هدفًا لسهامه من جميع الخَلق، فإنَّ من كان فوقه يقصده، فإنْ قام بدفعه فهو في الحزن، وإن لم يقم فهو في الخوف، ولذلك قال عليه السلام: «اتقوا الدنيا وحلاوة رضاعها ومرارة فطامها»(١)، ومن كان دونه يرجو منه شيئًا فشيئًا، ولا يمكن الجري معهم مع اختلاف مقاصدهم، فيُذَمُّ ويُلعن لا محالة، ومن كان مساويًا له فإنه يحسده ولا يمكن إرضاء الحاسد كما قيل:

كُلُّ العداوةِ قد تُرجى إماتَتُها ... إلا عداوة من عاداكَ من حَسَدِ

فعرف أنَّ من أبغضه فهو أكثر ممن أحبه، فقد عاد على موضوعه بالنقض، والذي يقصد دفع الجاه فعليه بإيثار الخمول فإن مِنَ السلف مَن قال: «الخمول نعمةٌ لا يريدها أحدٌ، والشهرة بَلِيَّة يريدها كل الناس»، ثُمَّ يُحمَد من الجاه قدر ما يكون وسيلة إلى إقامة الطاعات، ودفع الظلم عن نفسه وعن غيره، ومن أمْعَنَ النظر فإنه يَعُدُّه من نعم الله سبحانه وتعالى حينئذٍ.

الجُمُود: في عُرف أهلِ علمِ الأخلاق عبارةٌ عن قصور الشهوة في الطعام وغيره إلى الحد الذي ينبغي، والذي يقابله الشَّرَه، والوسط بَيْنَهما العِفَّة، وهو: ضبط النفس عن الإفراط والتفريط، ومثلُ الجمودِ الانقباضُ

---

(١) لا أصل له بهذا اللفظ، وقد رواه الديلمي دون سند ثم وقفت عليه عند الطبراني في الأحاديث الطوال برقم (٣) وفيه عمر بن موسى الوجيهي وضَّاع، ولم يعرفه محقق الكنى.

لكنه يُستعمل في معاشرة الناس، والذي يقابله الانبساط، والوسط بَيْنَهما حسنُ المعاشرة، وهو المحمود.

سببه: قلة الشهوة أو شدة الحياء، وسبب قلةِ الشهوة قد يكون طبعًا، وقد يكون رياضةً. علاجه: سهلٌ إذِ النفسُ توّاقةٌ إلى ما تشتهيه الأنفس.

الجَوْر: هو ترك القصد وهو العدل قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٌ﴾ [النحل: ٩]. وترك القصد قد يكون بالإفراط، وقد يكون بالتفريط، وهو الظلم فيسمى جورًا بالنظر إلى ترك القصد.

الجهل: إنه إذا كان بحدود الله تعالى فهو طغيان النفسِ حتى تترك الحدَّ مع العلم به وهذا داءٌ كلِّي. علاجه: العلمُ بحدود الشرع، وقمع الهوى، ثُمَّ الجهلُ يُذكر ويراد به عدم الشعورِ، وهو فطري ليس بعيب، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم﴾ [النحل: ٧٨] الآية. وإنما العيبُ التقصير في إزالته، ودواؤه التعلُّم، ويُذكر ويراد به الشعور بالشيء على خلاف ما هو به، وهو المغلط، ودواؤه التوقف، وسببه: الجهل الفطري، والعجلة، وحُبُّ العلمِ أن يُنسب إليه، ويُذكر ويراد به السَّفَه، كما قال تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

الجهد: هو المبالغة في تحصيل الغرض، فإن كان مع الغير بطريق المدافعة فهو الجهاد، وإن كان مع نفسه وحدها فهو الاجتهاد، ومنه الاجتهاد في العبادة، والتقوى، والجهد - أيضًا - الضعف وكان الأول منه، وإنه نافع إذا كان الغرض صحيحًا بشرط أن يكون بقدر الغرض قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقيل: المجاهدة سبب المشاهدة، والباعث عليه: النظر إلى كمال الغرض وجلال قدره، وإن

الوصول إلى الراحة والعزة والكرامة لا تكون إلا بتحمل المشاق، ولهذا قال عليه السلام: «حفَّتِ الجنة بالمكاره»(١). وقيل شعرًا:

بقَدر الكَدِّ تُعتصم المعالي ومَنْ طلب المنى سَهِرَ الليالي

الجَمْع: في عُرف الصوفية هو أن لا يكون همُّه إلا ذكر الله تعالى لأنه جمَعَ هَمَّه، والتفرقةُ في عرفهم هي تفرُّق الهمم في أشياء مختلفة.

الجلال: من صفات الله تعالى، فهو ذو الجلال والإكرام، وهو قريب من الكبرياء، وإنما يوصف به غيره مجازًا، والذي من هذا المعنى بالعبد علوَّ الهمة واستحقار الدنيا والتخلق بمكارم الأخلاق. وسببه: التواضع والانقياد لله تعالى، فمن تواضع لله رفعه الله.

الجمال: هو الحُسْن. سُمِّي الشحم المذاب جميلًا، والجَمْلُ هو الإذابةُ، ورجل جمالي: ضخم الخِلْقة، وهذا يشير إلى أنَّ معناه اجتماع المحاسن والعظمة، والجميل من أسماء الله تعالى، وإنه فيما نحن فيه نوعان: خلقي وصوري تتعلق بالاختيار، ولعل اسم التجمُّل به أولى، وإنه إمَّا في الأخلاق كما في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨]، ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠] وغير ذلك. والجميل المطلق ما حَسُن في نفسه، وأما في الناس وأمثالها والناس مختلفون فيه، فمنهم من مال إلى أنَّ الأولى إظهارُ الثروة، إذِ الشكرُ ليس إلا إظهار النعم، فتكلفوا في الملابس والمساكن وغيرهما، ومنهم من مال إلى أنَّ الأولى تركُ التجمل، فاكتفوا بالقليل وآثروا البراءة.. كما قال عليه السلام: « البذاذة من

---

(١) حديث صحيح: متفق عليه.

الإيمان»[1]، وربما كان ثوب الرسول عليه السلام كأنه ثوبُ زيَّاتٍ، والحق فيه أنَّ كل واحد منهما في ذاته مباح، والأعمال بالنيات، فالتجمل يحسن بنية الشكر، والبذاذة بنية التواضع.

الجُبْن: هو الخوف المفرط، وإنه مذمومٌ جدًا حتى أشكل على الصحابة فقالوا: يا رسول الله أيكون المؤمن جبانًا؟ فقال عليه السلام: « شر ما أوتي الناس جبنٌ خالع وشحٌّ هالع»[2]، وسببه: كراهة الموت، كما كان للبخل كراهة الفقر، والجبان يخاف غير الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فهما أخوان تـوأم فالجبن بُخْلٌ بالروح، والبُخْل جُبْنٌ بالمال.

وعلاجه الفعلي: تعاطي أفعال الشجعان، والعلمى أنَّ المقدورَ كائنٌ، فإن لم يُقَدَّر فلِمَ يخافُ؟ وإن قُدِّر فلا ينفعه الخوف، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ ﴾ [الأحزاب: ١٦]، ثُمَّ كراهة الموت على ثلاثة أوجه: كراهتُه لألمه، ولما فيه من فراق الأحبة - وهي للعامة - ولا ألم للموت في الحقيقة، فإنَّ من شرطه الحياة، بل المراد من ألمه ظاهرًا أنَّ الألم الذي يَلِيه، وذلك ألم المرض، وكما أنَّ فيه مِن فراق الأحبة، فكذلك فراق الأعادي والقُربة إلى الملأ الأعلى بل من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٥٥]، وقد وصل إلى سائر الأنس وحظائر القدس مع أسلافه، قال تعالى: ﴿ أَلْحَقْنَا

(١) حديث صحيح: انظر (الصحيحة) برقم (٣٤١).

(٢) حديث صحيح: انظر (الصحيحة) برقم (٥٦٠).

﴿ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور: ٢١]، ومع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا يقال: هذا للمتقين. فإنه لعامة المؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [النور: ٦٢] الآية. ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران: ٧٤]. لقد أحسن الله فيما مضى، كذلك يُحسِن فيما بقي. وكراهته لزيادة الطاعة إذِ الدنيا مزرعة الآخرة، وليعلم أنَّ الرضا بقضاء الله أفضل طاعةٍ.

والثالث وهو غاية درجات الأنبياء: أن يكون الغالب عليهم المحبة فيلحقه عند القُرْب أمثال السُّكْر، وقيل: إنَّ المرادَ مِنْ قوله عليه السلام: «اللَّهُمَّ هوِّن علينا سكرات الموت»[1]، هذا، فعُلِمَ بأن الجبن لا ينفع بل يضرُّ، فلا بُدَّ من إزالته، ولا يُغيّرنَّ باسم الحزم إذ هو غيره، ولقد أحسن المتنبي حيث يقول:

يرى الجبناءُ أنَّ الجبنَ حَزْمٌ وتلكَ خَديعةُ الطَّبْعِ اللئيمِ

الجَلادَة: ضِدُّ الكسل، وهو نشاطٌ وقوة زيادةٌ على المعهود، وإنه حَسَنٌ إلا إذا استُعْمِلَ في قبيح، وسببه: قُوة الباعث، وذلك بالنظر في كمال الغرض.

الجَفاء: خلافُ الرِّفْقِ، قال عليه السلام: «الجفاء في أهل الإبل»[2]، وسببه: خُشونة الطبع، والاسترواح بالغلظة، لزيادة في السَّبُعِيَّة، وعلاجه: النَّظَر في عاقبته وعاقبة الرفق واللطف.

---

(١) صحيح: بلفظ: (لا إله إلا الله إن للموت سكرات): رواه البخاري وغيره، ولم يثبت بلفظ المصنف.

(٢) حديث صحيح: بلفظ (الجفاء والقَسْوة وغلظ القلوب في الفدادين: أهل الوبر عند أصول أذناب الإبل والبقر...): رواه البخاري وغيره.

الجَهْر: بالصوت يُكْرَه المبالغةُ فيه، قال تعالى خبرًا عن لقمان: ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ [لقمان: ١٩] وخصوصًا إذا كان بحضرة الأكابر، قال تعالى: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ ﴾ [الحجرات: ٢] الآية. وسببه: عدم المبالاة، وعلاجه: ما يُغلِّب الحياء.

الجُوع: وإنه وإن لم يكن خُلُقًا يُراض به لكنه مما يُراضُ به، وهو مِنَ الانفعالات النفسانية، سببٌ لكلِّ خيرٍ، ودواءٌ من كلِّ داءٍ، وشفاءٌ من الشَّهوات، ولذلك قيلَ: الجُوعُ طعامُ الله في أرضه. يعني أنه المختصُّ بالإضافة إليه تشريفًا، وقد قال عليه السلام: «إنَّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع»[١]، وقال أيضًا عليه السلام: «سيد الأعمال الجوع»[٢]، وقال أيضًا عليه السلام: «الفكر نصف العبادةِ وقِلَّة الطعام هي العبادة»[٣]، وقال أيضًا عليه السلام: «أفضلكم منزلة عند الله تعالى أطولكم جوعًا وفكرًا»[٤]، وفيه من الأحاديث ما فيه، وفي التوراة مكتوبٌ «إنَّ الله ﷻ يُبغضُ الحَبر السمين».

---

(١) صحيح متفق عليه دون قوله: فضيقوا مجاريه... فلا أصل لها كما قال شيخنا الألباني (الضعيفة). ج٣/ص٧٩.

(٢) لا أصل له.

(٣) باطل كما قال الألباني عن هذا الحديث وقال: لا أصل له عن الأول.

(٤) لا أصل له كسابقيه.

باب الحاء

الحِلْم: هو أفضل من كَظْمِ الغيظ، إذِ الكظمُ هو التكلُّف للحِلْم وإنه قد يكون خِلقةً، وقد يحصل بالرياضة، وطريقُ تحصيلِه ما يكون لتسكينِ الغضب، ولهذا قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم»[1]، وقال ﷺ: «أَوَيَعْجَزُ أحدكم أن يكون كأبي ضَمْضَمٍ؟ قالوا: ومَنْ هو؟ قال: رجلٌ ممن كان قبلكم إذا أصبح يقول: اللَّهُمَّ إني أتصدق اليوم بعرضي على مَنْ ظلمني»[2]، قال محمودٌ الورَّاق:

سأُلْزِمُ نفسي الصَّفْحَ عن كلِّ مُذنبٍ وإنْ كَثُرتْ منه عليَّ الجرائمُ

ثُمَّ الحِلم لا ينافي الغضب لما كان الحلمُ هو تركُ الغضب فالممدوح منه ما كان مع كمال الغضب وقوته، قيل: «من لم يَغضب فهو حمارٌ»، غير أنه يَحسُن في محلِّه كما قيل:

إذا قيل حِلْمًا قلتُ للحِلْمِ مَوضِعٌ فحِلْمُ الفتى في غيرِ مَوضِعِه جَهْلُ

وما يحسن منه فإنه قد يكون واجبًا، وهو عند استيفاء المستحِقّ حَقَّه، وقد يكون مندوبًا، وهو ما عداه، والانتصار بطريق الإنصاف جائز، قال تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ [الشورى: ٤١]، الآية. وإنما يُستحبُّ إذا تركه لله تعالى تعظيمًا لجلاله، أو شفقة على خَلْقِه، أو صيانةً لنفسه، أو

(١) حديث حسن: انظر السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٢).

(٢) حديث حسن بمجموع طرقه وقد بينت ذلك في بحث منفصل، وضعفه شيخنا الألباني وفاته بعض الطرق (إرواء الغليل) برقم ٢٣٦٦.

رجاءً للعوام، فأمَّا إذا تركه استحقارًا لصاحبه فلا، إذ تركُ المكافأةِ استهانةً من أسباب الضرر كما قال الشاعر:

ورُبَّ لئيمٍ وَدَّ أني شَتَمْتُه أنْ كان شتمي فيه صابٌ وعَلْقَمُ
فأصفحُ عن شَتْمِ اللئيم تكرُّمًا وأَخِرُّ له من شتمه حين يشتمُ

الحقد: هو الغضب المستَكِنُّ في القلب، فإن الغضب إذا لم يجدْ نفاذًا عادَ إلى القلب فاستكنَّ فيه، وما كان صاحبه طيِّبَ القلب، وقد طال زمانه، يزول عنه، وإن لم يكن بل كان خبيثًا زاده خبثًا، وسببه: سببُ الغضب لكن بشرط أن لا يمكنه التنفيذ، وأنه مذمومٌ غايةً، إذْ يُشَوِّش للصاحب وقتَه، ويُسقِم بدَنَه، وينغِّص عَيْشَه، وربما أفضى إلى موته، والحسد مع قبحه ثمرةٌ من ثمرات الحقد، وإن كان يوجد بدونه في الجملة، قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود»[1]، وعلاجه: أسباب الحلم والعفو والإحسان والرفق، كما سيأتي إن شاء الله.

الحسد: كراهةُ نعمةِ الغير، فإن لم يكرَه نعمتَه أصلًا لكن يتمنَّى مثلَه فهو التمَنِّي، وأخبثُ الحسدِ أن يتمنَّى زوالَ نعمتِه، والتحاسُدُ بَيْنَ اثنينِ، ويُطلق عليه اسم التنافس أيضًا قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، فإن رأى نعمةَ غيره تاقَتْ نفسُه إليها، لكن يرضى بما لصاحبها فهو غِبْطَةٌ، وسببه: خُبث الطبع، وربما يَعْتَري سَليمَ الطبْعِ لنوعِ ضررٍ لحِقَه من المحسود فيصير الغضبُ حقدًا، وينشأ منه الحسدُ، وقد يكون بسبب القرابة والمناسبة والمساواة في بعض الأمور، فيكره النعمة لما فيها من حرمانه، وعلاجه: النظر فيما قاله ﷺ فإنه قال: «ستة يدخلون النار

(١) ليس له أصل كما قال العراقي في تخريج الإحياء.

قبل الحساب، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: الأمراء بالجور، والعرب بالعصَبيَّة، والدَّهاقين بالكِبر، والتُّجَّار بالخيانة، وأهل الرُّستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد»[1].

واعلم أنَّ الحسدَ مشتملٌ على الإنكار بقضاء الله تعالى وقدره، والإرادة بما أراد به الشيطان، وذلك إرادة الشرّ، ثُمَّ الحاسد لا يزال في تعبٍ وألم، وعن حكيم قال: ما رأيتُ ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسدٍ.

فصل

مَن ابتُلي بحاسِدٍ فقد ابتُلي بشرٍّ وبَلاءٍ، ولهذا جعل الله الاستعاذة من شرِّ الحاسد خاتمةَ الاستعاذات، وأمَّا تبدل عداوته بصداقته فذلك لا يرجى، وقد كان سببُ عداوته وجودكَ كما أشار إليه الشاعر:

كُلُّ العداوةِ قد تُرجى إماتَتُها ... إلا عداوة مَنْ عاداكَ في حَسَدِ

أمَّا إذا كان السببُ غير الوجود من حيثُ الوجود فذلك مما يُرجى زواله؛ لأنه يزول بزوال أسبابه، كما إذا كان حسده من اعتقاد الناس فيك بالزهد، فمتى تبدَّل ذلك الاعتقاد بما يُنافيه على ما يَنبغي تبدَّل حسده بما ينافيه أيضًا، ثُمَّ العفو والإحسان مما يُزيله كما قيل:

ستُكْفى مِنْ عدُوِّكَ كل كَيْدٍ ... إذا كادَ العدوُّ ولم تكِدْهُ

الحِرْصُ: هو قوةُ الرغبة، وإنه مكروه إذا جاوز الحدَّ، إذ الرغبة محمودةٌ لكونها من أسبابِ النَّيْل، والحرص يعود موضوعه بالنقض، ولذلك قيل الحريص محروم، ثم القناعة، وهي الرضا بالقليل من أضداده،

---

(١) ضعيف: قال العراقي: رواه الديلمي بسندين ضعيفين.

وهي محمودة إذا كانت الرغبة في الأمور الفانية، فأما إذا كانت في الأمور الباقية فالأمر على العكس، وسببه: الفطرة وقد جُبِل الآدمي على الشح والحرص، قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] علاجه: معرفة فضائل القناعة ما سيأتي في موضعه، إن شاء الله تعالى.

الحَزْم: هو الاستعداد للأمر، حزم العلم، وإنه حسن ما لم يبلغ حدَّ الجُبن.

الحُبُّ: هو ميلُ الطبع إلى الشيء، فإذا أفرَطَ يُسمَّى عِشْقًا، وحُسْنُه على حسب حُسْن المحبوب في الحقيقة، فينقسم بالإضافة إليه أقسامًا كذلك، ثُمَّ المستحق للمحبة في الحقيقة هو الله تعالى؛ فإنه إذا أحبَّ الجُودَ، فالجوادُ الحقيقيُّ هو، [و] إذا أحب الوجود [فهو] موجودٌ منه، بل لا يستغني ساعةً من إدامةِ الله تعالى إيَّاه، وإنْ كان بالشجاعة والقوة فإنَّ القوة لله جميعًا، وعلى هذا في الغير. وسبب زيادة المحبة النظرُ إلى إنعام الله تعالى وإحسانه، والمواظبة على الذِّكر، فإن مَنْ أحبَّ شيئًا أكثر ذِكره، ومن أكثر ذِكر شيء أحبَّه قال الشاعر:

تركتُ للناسِ دُنياهم ودِينهم شُغْلًا بِذِكْركَ يا دِيني ودُنيايَ

فصل

وأمَّا أماراتُ المحبة فإنها كثيرةٌ، ولا اعتبارَ للدَّعوى البَتَّة، وفيه من الأشعار كما هو المروي عن أبي ترابٍ النَّخْشَبِيّ رحمه الله:

لا تخدعن وللمحِبِّ دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائلُ
منها تنعمه بمر بلائه وسروره في كل ما هو فاعل
فالمنعُ منه عطية مقبولة والفقر إكرام وبر عاجل

ومن الدلائل أن يُرى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العادل
ومن الدلائل أن يُرى متبسمًا والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل أن يرى متفهمًا لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل أن يرى متقشفًا متحفظًا من كل ما هو قائل

وعن يحيى بن معاذ - قدَّس الله روحه - زيادة على هذا، منها قوله:

ومن الدلائل أن تراه مسلِّمًا كل الأمور إلى المليك العادل
ومن الدلائل ضحكه بَيْنَ الورى والقلب محزون كقلب الثاكل

وعن مُحَمَّد عبد الله البغدادي قال: رأيتُ شابًّا على سطح مرتفع، وقد أشرف على الناس، وهو يقول:

من ماتَ عشقًا فليمتْ هكذا لا خيرَ في عشق بلا موتِ

ثم رمى نفسه فحملوه ميتًا.

فصل

وأمَّا حب الدنيا فرأس كل خطيئة بالحديث - نعوذ بالله منه - ولمَّا تبَيَّنَ لأولي الألباب أنَّ المحبوب في الحقيقة هو الله تعالى، وأنه ينبغي أن تطمئن بذِكْرِه القلوبُ، فكلما هَجَسَ لهم خاطرُ المحبةِ لغيره عرفوها مصيبةً عظيمةً، وداءً دَويًّا، فيشتغلون بمعالجته بالنظر إلى خفائه وفنائه، وسُرعةِ تَصَرُّمِه وانقضائه، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

الحياء: مانعٌ طبيعيٌّ من إظهار القبائح، وإنه محمودٌ جدًّا في الشرع إلا

فيما يجب تنفيذه، قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا حياء له»[1]، [وفي قول آخر]: ما بقي من كلام النبوة: «إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ».

الحُمْق: خَلَلٌ في العقل، وهو الخللُ في الوسيلة لا في المقصود، والجنونُ عبارة عن الخلل فيهما جميعًا، وقيل: الأحمق هو الذي لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري، وإنه لا يُعالج أصلًا، ويجب الاحتراز عنه، فإنه قيل: صحبةُ الأحمق شؤم، وقيل: قَطِّعْهُ قُرْبَةً إلى الله تعالى.

الحَسَن والإحسان: هو الذي يَميل إليه العقل ويُحبُّه العاقل، وعلى المرء أن يُحسن إكرامًا لنفسِه، قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وقال الشاعر:

وأحسِنْ إلى الأحرارِ تملك رقابهم ... فخير تجارات الكريمِ اكتسابُها

الحَمِيَّة: هي الغضبُ وربما يَكثُرُ إطلاقها على الغضب لعِزَّةِ النفس، قال تعالى: ﴿حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

حفظ حدود الله تعالى: من جملة محاسن الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

---

(١) باطل منكر: انظر السلسلة الضعيفة برقم (٥٦٤٤).

باب الخاء

الخوف: هو تألم القلب بما يُتَوقَّع من المكروه في المستقبل، ولمَّا كان القادرُ على الخير والشرِّ هو الله تعالى فينبغي أن لا يخاف إلا منه، قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وقال ﷺ: «أنا أخوفكم لله تعالى»(١). ولمَّا لم يكنْ مَفَرٌّ إلا إليه فمَنْ خَشِيَهُ هرَبَ إليه، ثُمَّ إنه تعالى فضَّلَ التقوى، وهو الاحتراز، وإنه من مقتضيات الخوف، ومن فضائل التقوى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم: ٧٢] أو غيرهما من الآيات، وقال ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله تعالى»(٢).

فصل

ظنَّ بعضهم أنه ضدُّ الرجاء، وهذا غلط؛ لأن من ضرورة الخوفِ الرجاءُ، وقد خاف مَنْ رجا شيئًا فواته، بل ضدُّ الخوفِ الأمنُ، وضدُّ الرجاءِ القُنوط، قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، وقيل:

رجاءٌ بلا خوفٍ، وخوفٌ بلا رجا ... كجسمٍ بلا روحٍ، وروحٍ بلا جسمِ

---

(١) صحيح بلفظ: (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي): رواه مسلم وغيره.

(٢) ضعيف: انظر (ضعيف الجامع) ٣٠٦٦.

هما أخـــوا بِرٍّ وصِـــدقٍ تـــألَّفا قريبانِ في المعنى نقيضانِ في الاسمِ

فصل:
في أنَّ الأوْلَى تَغْليب الرجاء أو الخوف

والحقُّ أنَّ تغليبَ الخوفِ أولى في الصِّحَّة؛ ليكون رادعًا عن السيئات واتباع الشهوات، وتغليبَ الرجاء في المرض، إذِ الرجاءُ سبب الأمن، وسكون القلب مع الله تعالى، وهو مروِّحُ القلوب، ومفرِّحُ الصدور، والمريضُ لعجزِه لا افتقار له إلى الزاجر، ولذلك قال ﷺ: «لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو حَسنُ الظن بربه»[1].

فصل:
في فضيلة البكاء من خوف الله تعالى

ولا نشتغل ببيانِ ماهيتِه؛ لأنه من الأمور الجسمانية، بل ببيان المعالجة، نحو أكلِ العدس، ومجالسة الفقراء، وعيادة المرضى، والجوع والسهر، وغير ذلك مما يؤدي إلى رقة القلب، قال عليه السلام: «ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعةٌ، وإن كان مثلُ رأس الذباب من خشية الله إلا حرَّمه الله تعالى على النار»[2]، وقال عليه السلام: «اللَّهُمَّ ارزقني عينين هطَّالتين»[3].

الدواءُ الجالب للخوف من الله تعالى هو النظرُ في الأخبار الواردة من الأنبياء والعلماء، وذلك بعد الاحتماء، وهو الجوعُ والسهر والخلوة،

---

(١) صحيح: رواه مسلم وغيره.

(٢) ضعيف بهذا اللفظ: (انظر الضعيفة). ٤٤٩٠.

(٣) ضعيف: (انظر الضعيفة) ٢٩٠٥.

والصمت وتصفية القلب من الشواغل الدنياوية، قال ﷺ: «شيبتني سورة هود وأخواتها، سورة الواقعة، وإذا الشمس كورت، وعمَّ يتساءلون»[١].

«رُويَ أنَّ النبيَّ ﷺ وجبريل بكيا خوفًا من الله تعالى، فأوحى الله تعالى: لم تبكيان وقد أمنتكما؟ فقالا: ومَنْ يأمَنُ مكرك »[٢]، وكيف لا يخاف؟ ولا نجاة إلا مع الإيمان، والإيمانُ بالقلب، والقلبُ سريع التقلُّب جدًا، قال تعالى خبرًا عن إبراهيم [عليه السلام]: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾[إبراهيم: ٣٥]، وعن يوسف صلوات الله عليه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [يوسف: ١٠١]، ولما احتُضِرَ سفيان جعل يبكي ويجزع، فقيل له: عليك بالرجاء، فإن عفو الله تعالى أعظم من ذنوبك، فقال: أوَ على ذنوبي أبكي، لو علمتُ أني أموتُ على التوحيد لم أبالِ أنْ ألقى الله تعالى بأمثالِ الجبال مِنَ الخطايا، والأخبارُ فيه كثيرةٌ.

الخَوْضُ في الباطل: هو التكلم والسماع لحكايات الفساق، والأغنياء، والنساء، وتنعُّم الملوك ونحوهم، قال ﷺ: «أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل»[٣].

الخُصُومة: مذمومةٌ لما فيها من تكذيب صاحبك والاستهانة به، مع أنها إذا امتدَّتْ لا بدَّ وأن تُفضي إلى مجاوزة حدِّ الشرع، قال ﷺ: «إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألدُّ الخَصِم»[٤]. وعن بِشْر بن عبد الله: «ما رأيت شيئًا أذهب للدين، ولا أنقص للمروءة، ولا أضيع للذَّة، ولا أشغلَ

---

(١) صحيح: انظر الصحيحة ٩٥٥.

(٢) ضعيف: انظر تخريج الإحياء للعراقي.

(٣) يروى مرفوعاً ولا يصح، وله طريقان عن ابن مسعود يصح الأثر بهما موقوفاً.

(٤) متفق عليه.

للقلب، من خصومة».

خلف الوعد: إنه من أمارات النفاق. قال ﷺ: «من قال فكذب، ووعد فأخلف، واؤتمن فخان، فهو منافق»(١).

والإنسانُ بطبعه سبَّاقٌ على الوعد لما فيه من لذَّة الأرْيَحِيَّة، ثُمَّ إذا آلَ الأمر إلى الإنجاز فربما لا يسمح بذلك طبْعُه، وهذا من جُملة الأمراض المضرَّةِ بالدنيا والدين، وأثنى الله تعالى على إسماعيل صلوات الله عليه فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم: ٥٤] قيل: إنه وَعَدَ إنسانًا في مَوْضِعٍ فلم يرجعْ إليه، فبقيَ اثنين وعشرين يومًا في انتظاره، وقال ﷺ: « الوأي مثل الدَّين أو أفضل»(٢)، وهو الوعد.

الخُمُول: ضدُّ الشهرة، وهو حالةٌ لا خُلُقٌ، وإنه من نِعَمِ الله تعالى لما فيه من الفراغ للعبادة والذكر، وقد جاء في الحديث: «يقول الله تعالى لعبدٍ يوم القيامة: ألم أُخْمِلْ ذِكْرَكَ؟»(٣)، وسنذكرُ آفات الشهرة في موضعها إن شاء الله تعالى.

الخبث: خلاف الطِّيب، وقد يكون مختصًّا بفعلٍ، وقد لا يكون بل يعمُّ الأفعال، قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ [النور: ٢٦] قال أكثر أهل التفسير: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول، ثُمَّ طهارة الباطن من الأخلاق الذميمة واجبةٌ، وما يضادُّها خبثٌ.

---

(١) صحيح بلفظ: (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً...).

(٢) قال العراقي: أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت من رواية ابن لهيعة مرسلاً ورواه الديلمي من حديث علي بسند ضعيف (تخريج الإحياء).

(٣) مكذوب لا أصل لهُ، وإنما ذكره الفضيل بن عياض بلاغاً كما ذكره الغزالي في الإحياء!!

باب الدال

الدعاء: فعلٌ من أفعال العبدِ محمودٌ في الشرع، والباعثُ عليه معرفةُ الافتقار أو تعظيم الله تعالى، أو الالتذاذ بمناجاة الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، والإسهابُ في هذا البابِ لا يليق بهذا الكتاب.

الدِّلالة: هي الهدايةُ وبيانُ الطريق وإنها مذمومةٌ على المذموم، محمودة على المحمود، قال ﷺ: «الدالُّ عليه كفاعله»[1].

الدَّالَّة والإدْلالُ: المبالغة في الانبساط، وإنه غير محمود فيما بَيْنَ الناس لميله إلى الإفراط. وقد عرفتَ في تمهيد قاعدة هذا الكتاب أنَّ:

كِلا طَرَفَيْ قصدِ الأمورِ ذميمُ

والأُنْس بالله تعالى يُثْمِرُ هذه الحالة، واللهُ تعالى يعفو عن عبده، بفضله ورحمته.

الدَّناءة: الخساسة، وهي التواضع في غير محلِّه، وإنه مذموم في الشرع، قال ﷺ: «إن الله تعالى يحب معاليَ الأمور ويبغضُ سَفْسَافها»[2]، وعلاجه: النظر في مناقب نفسه.

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع الصغير (١٦٠٥).

(٢) صحيح: انظر صحيح الجامع الصغير (١٧٤٣).

باب الذال

الذِّكْر: منه ذِكْر الله تعالى، وإنه بالقلب، وهو الأصل، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ومنه الذكر باللسان، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤]، وقد صحَّ في النقل والعقل أنَّ أفضل العبادات ذِكْر الله تعالى؛ لأنه سبب الأُنس والمحبة والشوق والرضا، وإنه مَطْمَحُ أبصار السالكين، ومنتهى رغبة العابدين، ولهذا جاء في الحديث: أنه أفضل من الضَّرْب بالسيف في سبيل الله، وأنه سببٌ للذكر بالقلب، كما أنَّ ذكر القلب سبب للذكر باللسان.

قال القائل:

ذكرتُك لا أني نسيتُكِ ساعةً　　وأهون ما في الذِّكر ذِكْرُ لسان

والذِّكر مذكور في كثير من الآيات، فذاكِرُ نِعَمِ الله تعالى سعيدٌ في الدنيا؛ لأنه يَنال المزيدَ وهو شاكرٌ، كما قال ﷺ: «التحدث بنعمة الله شكر»[1]، ولا يزال قلبه يَرْفُل في بساتين اللُّطف، ورياضِ الرضا والأنس، ثُمَّ إنَّ أشرفَ المقامات النظرُ إلى النِّعَم مِنْ حيثُ هي مِن المنعِم. وأمَّا النِّعَمُ، فإنها أنواع لا تعَدُّ ولا تحصى، نحو الصحة، ولها أسبابٌ كثيرةٌ، فمنها الأكل، ولا بُدَّ له من أسباب الإدراك، وهي نوعان: ظاهرةٌ وهي

(١) حديث حسن: انظر صحيح الجامع الصغير ٣٠١٤.

الحواس الخمس، وباطنةٌ وهي المخيِّلة والمفكِّرَة وغيرهما، ولكل مُدركات أجناسٌ وأنواعٌ وأشخاصٌ لا يُحصيها إلا الله تعالى ولا بدَّ له - أيضًا - من الإرادات للطلبِ والهربِ، والإرادةُ لا بُدَّ لها من الخَطْرَة الأُولى، ثُمَّ دوامها، ثُمَّ تصميمُ العَزْم، ثُمَّ لا بدَّ له من أسباب الحركة كذلك على ما عرف من اليدِ الباطشةِ، والرجل الماشية وغيرهما، من آلات الهضْمِ وما فيها من القُوَى الجاذبة الماسكة وغيرهما إلى غيرها من العجائب التي لا تحصى، وقد عرفت حقيقة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ذو اللِّسانَيْنِ: الذي يتَرَدَّدُ بَيْنَ المتعادِيَيْن، ويُكلِّم كل واحدٍ بما يوافقه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا تكونوا إمَّعَةً، قالوا: وما الإمَّعَةُ، قال: يجري مع كل ريح»، فإن علم أنه يُصلِحُ ما بَيْنَهما بما يقول فهذا من إصلاح بَيْنِ الناس، وقد جاءتِ الرخصةُ في الكذب في مثله، وسبب هذا الداء: إمَّا إرادة الشر وإيقاع العداوة وهو شيطان الإنس، وإما إرادة التحبب إلى الناس. وليعلم أنه سبب البغضاء.

الذَّمُّ: إنْ كان بالمشافهة فهو الهمزُ وإيذاءُ المسلم، وفيه من الضرر عاجلًا وآجلًا ما لا يخفى، قال ﷺ: «من آذى معاهدًا فقد آذاني»[1]، وسببه: السَّبُعِيَّة، وسنذكر علاجها في باب الغضب - إن شاء الله - وإن كان بالغِيبة فهو غِيبةٌ، وإنه مذموم جدًا، اللَّهُمَّ إلا ما كان سببًا لقبيح خلق ورد عيب، فلا بأس به في الحضرة والغيبة، بشرط أن لا يجاوز الحد، كما جاء

---

(١) لا أصل له بهذا اللفظ، وصحّ بلفظ: (من قتل معاهداً في غير كُنْهِهِ حرم الله عليه الجنة). وصحّ بلفظ: (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة).

في القرآن والحديث.

الذُّلُّ: خلاف العِزِّ، يقال: دابَّةٌ ذَلُول، ورجل ذليل، وإنه خُلُقٌ مذموم في الشرع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقد مرَّ ذِكره، وعلى الحقيقة التذلل والانقياد ضرر فلا يحتمل إلا لاستحباب الشرع وأصدق أسبابه الطمع كما قيل: ما الذل إلا في الطمع. فليحترز منه.

الذَّكاء: خلاف البلادة، ولعله لا يُسمى خُلقًا، بل هو أمرٌ فطري وعطاء من الله تعالى، يُمْكِنُ تحصيله بالتكلُّف والنظر في أفعال الأذكياء، وأقوالهم، ولكن: ليس التكَحُّل في العَيْنَيْن كالكَحَل.

باب الراء

الرَّجاء: توَقُّع الخير في المستقبل، وهو الطمع أيضًا لكنه يُستعمل في الأمور المحمودة، وفَرَّقوا بَيْنَ الرجاء والاغترار، فقالوا: الرجاء يكون لمن مهَّدَ أسبابَ المرجُوِّ، والاغترارِ لمن أخَلَّ بها، وإذا عُرِف الرجاءُ فلا يَصِحُّ إلا من القادر على تحصيل المرجو، وإدامته وإتمامِه على أحسن الوجوه، ولا ذلك إلا لله تعالى، وقد وَرَدَ الترغيبُ فيه، وكيف لا ؟وإنَّه من أسباب المحبة والرضا، الذي هو منتهى مقامات العابدين، وغاية درجات السالكين، واعتبر بمَلِكٍ يُخْدَم رجاء لنواله، وآخر يخدم خوفًا من نكاله، قال ﷺ : «قال تعالى: أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»[1]، والنبي ﷺ دَخَل على رَجُل في النَّزْع، فقال: «كيف تَجِدُك؟ فقال: أجِدُني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي، فقال ﷺ: ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله تعالى ما رجا وأمَّنَه مما خاف»[2].

الرضا: من ثمرات المحبة، وأنكر بعضهم تصوُّرَ الرضا بمكروهِ الطبعِ، وذلك غلطٌ. حُكي عن سَهْلٍ أنه كان لا يعالج مرضه، ويقول: ضَرْبُ الحبيبِ لا يُوجع، ثُمَّ الرضا من الله تعالى من أعلى مقامات السالكين، قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وقال ﷺ: «إذا

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع برقم ٤٣١٦.

(٢) حديث حسن: انظر الصحيحة ١٠٥١ وتصحيح الألباني بمتابعة يحيى الحماني للحديث فيه نظر؛ فالحماني متروك.

أحبَّ اللهُ تعالى عبدًا ابتلاه بالبلاء، فإن صبرَ اجتباه، وإن رضيَ اصطفاه»[١]، وفي التوراة: «من رضي بما أعطاه الله تعالى استراح في الدنيا والآخرة».

الرياء: إراءةُ العِباد بطاعة الله تعالى، وهذا هو في العُرف، والمرايَا به كثيرٌ ومجامع ما يتزيَّن به أهل الدنيا، وإنه مذموم في الشرع، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾ [الماعون: ٦] وقال ﷺ: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم القيامة: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء؟»[٢] وقال ﷺ: «يقول الله تعالى: مَنْ عمل لي عملًا، وأشرك فيه غيري فهو له كله، وأنا منه بريء»[٣]. سببه: حبُّ الثناء، وسببه: حبُّ العلوِّ والرِّفعة، وعلاجه: بالنظر إلى قِلَّة الثناء وقتًا ومكانًا وانقضاؤهم، والمصير إلى الله تعالى، فينبئهم بما عملوا، ثُمَّ إنه إن كان كذبًا فلم يفرح به، وهو هزؤٌ؟ وإن كان صدقًا فكذلك إن كان فانيًا، فسيفارقه وشيكًا، وإن كان باقيًا فعلى خطر البطلان لخوفِ الخاتمة، وكأنه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

الرِّفق: ضِدُّ العنف، وإنه محمود، وهو نتيجة حُسن الخُلق، قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «عليكِ بالرفق فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه»[٤] وقال لها أيضًا: «إن من أُعطي حظَّه من الرفق أُعطي حظَّه من خير الدنيا والآخرة، ومن حُرم حظه من الرفق حرم حظه

(١) موضوع لا أصل له: رواه الديلمي دون سند.

(٢) حديث صحيح: انظر الصحيحة برقم (٩٥١).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم وغيره.

(٤) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع برقم (٧٩٢٧).

من خير الدنيا والآخرة»[١].

رِقَّةُ القلب: من أضداد القسوة، عن عيسى - صلوات الله عليه - قال: «القلب القاسي بعيدٌ من الله»، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ [البقرة: ٧٤]، وقال ﷺ «إن الله تعالى يبغض الحَبر السمين، ويحب القلب الحزين»[٢]، والحُزن وهو توجيع القلبِ بشعورٍ مكروهٍ من أسباب الرقة، كما أنَّ الرقة من أسباب الحزن، والقلبُ الرقيق هو المحلُّ القابلُ لفيض فضلِ الله تعالى ورحمته، وأمَّا القساوة فسببها: أكلُ اللَّحمِ، وشُرب الخمر، والحرص على الدنيا، والمنازعة والنوم على البِطْنَة، والظُّلْم، فكذلك الرقة سببُها: الجوعُ والسهر، والحزن والمرض، والفقر، والسماع، ومجالسة الفقراء، وغيرهم من أهل البلاء، وخصوصًا الوقوف على معاني القرآن، والزهد عن الدنيا، والفِكر في العاقبة.

شكا رجل إلى رسول الله ﷺ القسوة، فأمره بمسح رأس اليتيم[٣]، ثم للبعض من الأغذية تأثيرٌ في الرقة مثل العَدس والتلس.

الرُّعُونة: عبارة عن حبِّ التزيُّن في اللباس وغيرها، وعند الأطباء عبارة عن نوع علَّةٍ دماغية، وسببه: الغفلة والخبث، وعلاجه: ما يقوِّي الكِبْر والرُّجولية.

الرَّحمة: محثوثٌ عليها، وهي لنا من ثمرات رقَّة القلب، قال عليه السلام: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

---

(١) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع برقم (٦٠٥٥).

(٢) لا أصل له مرفوعاً، وروي منسوباً للتوراة من مرسل سعيد بن جبير. انظر (المقاصد الحسنة) للسخاوي برقم ٢٤٥.

(٣) حديث حسن: انظر صحيح الجامع برقم (١٤١٠).

الرَّأفة: نهايةُ الرحمة، وإنَّها لا تُحمَد عند إقامةِ التأديب والاستصلاح، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٢].

الرَّغْبَة: هي المَيْلُ إلى الشيء بالتحصيل، وضدها: الإعراضُ والصَّفْحُ، قال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ ﴾ [الزخرف: ٨٩].

الرَّهْبة: الخوفُ، وإنه يُذَمُّ؛ لأنه يُذِلُّه في الحال، ولا ينفعه في المآل، قال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ١٣] قال أحمد بن موسى الخوارزمي:

كَمْ مِنْ غَنيٍّ لَئيمٍ عاش في تَعَبٍ ظَنَّ المخافةَ تُنجيهِ مِنَ الوَصَبِ
يحل أن قيل: يا للمجد حوبته وليس يُجديه ما يُبدي من الذهبِ

باب الزاي

الزُّهد: هو الإعراض، وإنه عن الدنيا ممدوحٌ، وكمالُه أن لا يكون لغرضٍ، بل لما فيها مِنَ الدناءة، وقد قيل: إن كان الإعراضُ بلا اختيارٍ، فهوَ الفقرُ، وإنْ كان باختيارٍ فهو الزهدُ، قال ﷺ: «إذا رأيتم العبدَ قد أُعطيَ صَمْتًا وزهدًا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يُلَقَّن الحكمة»، [1] وقال ﷺ: «من أصبح والدنيا همُّه شَتَّتَ اللهُ عليه أمرَه، وفَرَّقَ عليه صنعَتَه، وجعل فَقْرَه بَيْنَ عينَيهِ، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن أصبحَ وهمُّه الآخرة جَمَعَ اللهُ همه، وحفِظ عليه صنعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[2]، وقال ﷺ: «إن أردتَ أن يُحبَّكَ اللهُ تعالى فازهد في الدنيا»[3]، وضدُّه الحرص على الدنيا، والسبب الباعث على الزهد ذم الحرص، والنظر في أحوال الأنبياء، وقِلَّة البقاء، وسرعة الانقلاب والانقضاء.

---

(١) حديث ضعيف: انظر ضعيف الجامع برقم (٥٠٨).

(٢) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع برقم (٦٥١٠).

(٣) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع برقم (٩٢٢).

باب السين

السخاء: مذكور في الجود.

السَّماحة: هي السهولةُ مع نوعِ إقدامٍ، قال ﷺ «رحم الله امرأً سَهْلَ البيعِ سهل الشراء»[1] وفي الحديث: «إن الله تعالى يُحبُّ السماحة على فلْقِ تمرة»[2]. والباعث عليها معرفة حقارة الدنيا، وفوائد السماحة.

السَّرَفُ والإسراف: وهو التَّضْييعُ مطلقًا، أو مِنْ وَجْهٍ، فمَنْ أَخْرَقَ ثوبَه، فقد أسرفَ، وإنه مذمومٌ في الشرع، لما فيه من كُفرانِ النعمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف: ٣١]. والبُخْلُ إسرافٌ؛ لأنه تضييع المالِ، وإبطال منافعه، والإسرافُ لا يختَصُّ بالمال بل في العمر والجاه، فالنفسُ المستعدَّةُ لقَبُول العلم إذا صُرِفَتْ في أمورِ الدنيا الخسيسة كان إسرافًا.

السَّخافَة: الرَّكاكَة، وهي قريبٌ من السَّفَهِ.

السَّفَه: الخِفَّةُ، قال الشاعر:

سَفِيهُ الرُّمح حامله إذا ما ... بدا فضل السفيه على الحليم

---

(١) حديث صحيح: رواه البخاري بلفظ: (رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى).

(٢) حديث موضوع: انظر الضعيفة برقم (٣١٧٥) وقد فات شيخنا الألباني ذكره للحديث عند ابن عدي وفيه هذا اللفظ.

وقد مرَّ ذِكرُ الخِفَّة والثِّقَل، فالمجموعُ من الخفة يُسمى مسارعةً من الثقل. الزراية: السَّبُّ. نهى رسول الله ﷺ أن تُسَبَّ قتلى المشركين[(١)]، وفيه من الشَّيْن، وهذا ظاهر، وسببه: السَّبُعيَّة، وعلاجه: أن تنظر فيه، فإنه يلَوِّثُ نفسه بيقين، ويُظهر خُبثها.

السُّخرية: الاستهزاءُ، وقد مرَّ ذِكره.

السُّؤال: عند العُبَّادِ بمعنى التكَدِّي، منهيٌّ عنه، قال ﷺ: «من سأل عن ظَهر غنىً» الحديث[(٢)]. ولأنه مشتمل على الشكاية مِن الله تعالى، وإيذاءِ الغير، كذلك إن أُعْطِيَ يُفَوَّتُ المالُ، وإن منع بسمة البخل، والسؤالُ عن العلم بمعنى البحث مستحسنٌ للاستفادة، قال ﷺ: «مفتاح العلم السؤال»[(٣)]، ويحرم إنْ كان غرضُه التَّخْجِيل. ومن مُهمَّات هذا الأمرِ سؤالُ الإنسانِ عمَّا لا يُفْهَمُ، قال الله تعالى في قصة موسى صلوات الله عليه: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ [الكهف: ٧٠]، وهذا نحوَ سؤالِ العامَّةِ عن صفاتِ الله تعالى.

السُّكوت: ممدوحٌ في الشرع، عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان على الصَّفا يُلَبِّي، ويقول: يا لساني قُلْ خيرًا تَغْنَمْ، أو تسكت تَسْلم، قيل له: أوَ شيءٌ سمعتَه؟ قال: بل سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه» وسببه الباعث عليه: معرفة آفات الكلام.

---

(١) صحيح بلفظ: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء).

(٢) رواه ابن ماجه، باب من سأل عن ظهر غنى، حديث رقم (١٨٣٨) [٥٨٩/١] ورواه البخاري في التاريخ الكبير، باب ق حديث رقم (٥٥٨) [١٧٦/٥].

(٣) هذا الحديث لا أصل له. ولم أجده فيما لدينا من مصادر ومراجع.

السلامة: القلبُ السليم ممدوحٌ في الشرع، قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٩]، قيل: هو اللَّدِيغ بأنواع البلايا، وقيل: هو الذي لم يُخرجه شيء سوى الله تعالى، والسلامةُ في الحقيقة في دار الدنيا، وهي انتفاءُ ما يؤذيه بَدَنًا وقلبًا.

باب الشين

الشِّبَع: وإن لم يكن خُلقًا ولكنَّ داعيَته خُلُقٌ مذمومٌ في الشرع، قال ﷺ: «أطول الناس جوعًا يوم القيامة أكثرهم شبعًا في الدنيا»[1]. قالت عائشة رضي الله عنها: «إن رسول الله ﷺ لم يَمتلئ قَطُّ شِبَعًا»[2]، ومن آفاتِ الشِّبَع ظُلْمةُ القلب، وكَلالَة الطَّبْع، وذهاب الفطنة، وقساوة القلب، والفرح، والغفلة عن الله تعالى، وزيادة الشهوات، وكثرة النوم، والمنع عن كثرة العبادات، وعلاجُه: التقليلُ، والمواظبةُ على الجوع.

الشَّهوة: عبارة عن ميل النفسِ، والنفسُ تميلُ بالطبع إلى اللذةِ غافلةً عن تَبِعاتها، وأشدُّها تسلُّطًا شهوةُ البطن، ثُمَّ الفرج، ثُمَّ اللسان، ففي حديثٍ قال ﷺ: «من وُقِيَ شرَّ لَقْلَقِهِ وقَبْقَبِهِ وَذَبْذَبِه فقد وُقِيَ الشرَّ كُلَّه»[3]، والانهماكُ في متابعتها سببٌ للهلاك، قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، وسببٌ لزوال الجاه أيضًا.

فصل

ثُمَّ الشهوةُ المطلقةُ لا يمكن وجودها في الدنيا، إذِ اللذةُ هي العَوْدُ إلى الطبيعة الأُولى، كالجائع يَلْتذُّ بالطعام لأنه يَعودُ به إلى الطبع الأصلي، وهو

(١) حديث صحيح بلفظ: (أكثرهم شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة): حسن انظر الصحيحة ٣٤٣.

(٢) صح بلفظ: (ما شبع نبي الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً...): متفق عليه.

(٣) تقدم أنه صحيح.

السلامةُ من الجوعِ، فلو عادَ إليه لا يلتذُّ بعد ذلك، وعلى هذا في الغير، فإن اللذة لا تكون دائمةً، بل لا تكون إلا ساعةً، ولهذا قال صاحبُ الشرع: «رُبَّ شهوةِ ساعةٍ أورثَتْ حزنًا طويلًا»(١)، ثُمَّ المشتهيات إن كانت كثيرةً فقد جمعتْها أربعةٌ: الراحةُ، واللذةُ، والرِّفعةُ، وحُسْن العافية.

عن الحكماء: لمَّا خَلَق اللهُ تعالى الإنسانَ من الأمشاج الأربعةِ أحبَّ الراحةَ بطبعِ البَلْغَم، واللذَّةَ بطبع الدَّمِ، والرفعة بطبع الصلف، وحسن العافية بطبع السوداء، ثُمَّ اللذة الدُّنياوية لا بُدَّ لها من محلٍّ وسببٍ، فالاشتغالُ بالالتذاذِ يُفْضِي إلى فَوْتِ المحَلِّ، والرِّفعةُ لا تُنالُ إلا بتحمُّلِ الأخطارِ، وبَذْلِ الأموال، ولهذا قال الشاعر:

لولا المشَقَّة سادَ الناسُ كلهم   الجودُ يُفْقِرُ والإقدامُ قتَّالُ

فطلبُ الرفعةِ سببٌ لزوالِ الراحة، وطلبُ حُسنِ العافية لا يكون إلا بزوالِ الراحةِ واللذةِ والرفعةِ، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ [القصص: ٨٣] الآية. فقد تحقَّق أنَّ المُشْتَهَى المطلَقَ لا تَصَوُّرَ له في الدنيا، بل لا تصور لجهةٍ من جهاتها إلا بأن تكون عائدةً على موضوعها بالنقصِ.

الشَّرَه: هو قوَّةُ الحِرْصِ، ويُستعمل - أيضًا - في الحرص على الطعام خاصةً، والشَّره قريبٌ منه قال ﷺ: «إن لكل عايد شره» الحديث(٢).

الشَّبَق: قوةُ شهوةِ النكاح، وإنه مُخِلٌّ بوظائفِ العبادةِ بَدَنًا وقلبًا، ولهذا قال ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، وإلا فليصم فإن الصوم له وجاء».

---

(١) حديث ضعيف جداً: الضعيفة برقم (١١١٥).

(٢) حديث صحيح: ولفظه: (ولكل شرة فترة فإما إلى سُنَّةٍ وإما إلى بدعة...): انظر مسند أحمد.

الشَّكُّ: خلافُ اليقين، ثُمَّ إنه إذا خطر ببالك شيءٌ مما يَصِحُّ فيه التصديق والتكذيبُ، فإنِ استوى الطرفانِ، فهوَ الشَّكُّ، وإلا فالغالبُ هو الظَّنُّ، والمغلوبُ هو الوَهْمُ، والمراد منه - هنا - ما يُخالفُ اليقينَ الحقيقيَّ، وعلاجُه: النظرُ في الأدلة القاطعة، والذي يقصر طبعه عن دَرْكِهِ، فدواؤه بقَدْرِ الممكن.

الشُّحُّ: قد مرَّ ذِكْرُه في البخل، وإنه من المهلكات.

الشِّرْك: هو اعتقادُ الشريك لله تعالى، وإن كان في الوَضْعِ هو الشَّرِكة قال الشاعر:

وشاركْنا قريشًا في تُقاها   وفي أنسابها شِرْكُ العِنانِ

ويُراد به النصيب - أيضًا - قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠] وإنه فيما نحن فيه ظاهرٌ وباطنٌ، قال عليه السلام: «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصَّمَّاء»(١)، وهو في الحقيقة الالتفات إلى غير الله تعالى بالاعتماد عليه في شيء أو نسبته إليه، ولهذا قال ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»(٢)، فمن حقِّ الإيمان أن لا تعتمدَ إلا على الله، قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وله شرحٌ طويل.

الشُّهرة: محبوبةٌ بالطبعِ، لكنَّها سببُ الآفاتِ، وفواتُ الأوقات، والاشتغال عن العبادة بالشهوات، وإنها كمالٌ وهميٌّ لا حقيقي، بل هو

---

(١) حديث صحيح بلفظ: (الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا) وباقيه لم يصح انظر ضعيف الجامع برقم (٣٤٣٢).

(٢) صحيح: انظر رقم (١٥٥٥) في صحيح الجامع.

سببٌ للذُّل لأن المشهور يظهر معائبه ومثالبه، ولما وقف على هذه الآفات نصرُ بن الحسن قال:

فطوبى لنفس وُطِّنت قَعْر دارها مُغلَّقة الأبوابِ مُرخىً حِجابُها

الشَّرَفُ: العُلُوُّ من قولهم: أشْرَفَ على كذا، أي علاه، وحبه مذموم في الشرع، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ ﴾ [القصص: ٨٣]، وقال ﷺ: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حب المال»، والشرفُ لدِينِ[١] الرجُلِ، ومن ابتلي به فأدبُه التواضعُ والشعورُ بفنائه.

الشجاعة: مَحْثُوثٌ عليها في الشرع، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ﴾ [الأنفال: ٦٥] وقال ﷺ: «إن الله تعالى يحب الشجاعة»[٢] وقيل: تبرَّكُوا بدعاء الشجعان والأسخياء، فإنهم حَسَنُو الظن بربهم.

الشَّوق: المحبة المفرطة، وقد مَرَّ ذِكره في المحبة.

الشُّكر: هو الإظهار، وضدُّه الكفران، وهو سَتْرُ النعمة، والكافرُ كأنه يَستُر الدلائلَ على نفسه، والكافرُ الزَّرَّاع، لسترِهِ الحَبَّ، والكافرُ الذي يلبس الثوب على سلاحه، والكافر اللَّيل، قال لبيد:

حتى إذا ألقت يدًا في كافر وأجَنَّ عورات الثغور ظلامها

فالشكرُ ثلاثة:

أن يُظهر النعمةَ على نفسه فيتحقَّقُ أنها من الله تعالى، ناجَى داود - صلوات الله عليه - فقال: يا رَبِّ إنَّ آدم خلقتَه بيدكَ، وأسكنتَه جنتكَ،

---

(١) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع الصغير برقم ٥٦٢٠.

(٢) تقدم بيان أنه موضوع.

وزوجتَه حواء، وأسجدت له ملائكتكَ، فما شكرُه لكَ؟ فقال: عَرَفَ أنَّ ذلك مِنّي فكانَ شُكْرًا لي. وكمالُ ظهورِ النعمةِ أنْ يتيقَّنَ بعجزِه عن الشكر.

والثاني: العملُ بالأركان، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣].

والثالث: الثناءُ باللسان، قال ﷺ: «الحمد لله شكر كل نعمة»(١). ولما تمَّت النعمةُ على أهل الجنة كان آخر دعواهم: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[يونس: ١٠].

الشِّدَّة: تكونُ بمعنى الشجاعة، قال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] وتكون بمعنى الضِّيق، ضِيق الحالِ، وضيقُ القلبِ مما نحن بصدده، وإنه من العقوبات قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام: ١٢٥] وعلاج ضيق القلب: النظرُ في التقدير، ومجالسةُ أُولي الألباب.

الشَّوْكة: هي القوة والشجاعة.

الشَّماتَة: إظهارُ السرور بنزول البلاء بالأعداء، منهيٌّ شرعًا، وإنه بسبب القسوة، وعلاجه: النظرُ في عواقب الأمور، وعواقبها إذِ البلاءُ نعمةٌ خُصوصًا إذا قارنه الصَّبْر.

الشَّفَقَة: الخوف، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] فالأمُّ مشفقةٌ على الولد؛ أيْ خائفةٌ عليه البلايا، ولهذا كان الولدُ مَبخلةً مَجبنةً، خوفًا مِن اليُتْم والفَقْر.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

قال الشاعر:

لـولا أمـيمةُ لـم أجـزَعْ مـن العـدمِ ... ولـم أجُبْ في الليالي حِنْدِسَ الظُّلَمِ
وزادنـي رغـبةً فـي المـال معرفتـي ... ذُلَّ اليتـيمةِ يجفـوها ذوو الـرَّحِمِ
أخشى مـن الفقـر يـومًا أن يُلِـمَّ بهـا ... فيهتك السِّتر من لحـم على وَضَـمِ
تَهـوَى حياتـي وأهـوَى مـوتَها شَـفقًا ... والمـوتُ أكـرمُ نـزَّالٍ علـى الحُـرَمِ

وينبغي أن تكون الشفقة على كافَّةِ الناس، فإنهم خُلفاءُ الله في أرضِه، بل على جميع الخلائق، فالكُلُّ بِصُنْعِهِ، ومَنْ أحَبَّ صانعًا أحَبَّ صُنْعَه، وسببُ الشفقةِ رِقَّةُ القلبِ.

الشِّكايةُ: إلى الله تعالى محمودٌ، قال يعقوب صلوات الله عليه: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ﴾ [يوسف: ٨٦] وما كانت البلايا ممدوحةً في الشرع إلا لأنها سببُ الشكايةِ إلى الله تعالى، والتَّبَتُّل إليه، وهو سِرُّ العباداتِ. والشكايةُ إلى الناس مذمومةٌ منهم ومن الله تعالى لأنهما من الله تعالى قبل، إلا عند الحاسد ردٌّ للعين، فإن العين حق.

الشفاعة: ليست خُلقًا، وإنها مندوبٌ إليها إذا لم ينظر إلى إبطال حقٍّ أو حَدٍّ.

الشِّقاق: هو الخلافُ مِنْ قولهم: شَقَّ العصا، أي خالفَ الجماعة، والخلافُ طبعٌ لئيمٌ، وخُلق مُضِرٌّ.

الشَّهامة: هوَ اجتماعُ الذكاءِ والإقدام.

الشَّرُّ: خُلُق، وعلاجه: القتلُ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٣٣] الآية. ويعالج: بالخلوة، والسُّكوت، وأسبابِ الرقة، ومجانبةِ أهل الشر.

باب الصاد

الصَّبْر: هو الثباتُ مع باعثِ الطَّبْعِ على ضِدِّه، ولا يخلو خُلُق مِنَ الأخلاق الحسنة عن الصبر خصوصًا خُلق المؤمن، ولذلك جاء في الحديث: « الصبر هو الإيمان كله»[1]، وفي حديثٍ آخَر: «الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد»[2]، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ﴾ [السجدة: ٢٤] الآية. وفيه العديد من الآيات، فلا تخلو الطاعةُ ظاهرةً أو باطنةً عن الصبر، فالعِفَّةُ هو الصبرُ عن شهوةِ البطن والفَرْج، والصومُ عبارةٌ عنه في زمانٍ معَيَّنٍ، والصبرُ في الحربِ هو الشجاعةُ وضدُّه الجبن، وعلى الغضبِ هو الحلمُ، وضدُّه السَّفَه، وعلى هذا في الغير، فإن الشَّرَه على الشيء ضِدُّ العفة، فينافيها، وسببُ الصبر على الجملة التصَبُّر، وتحمُّل البلايا، ومنه قَطع الطمع، كما قيل:

صبرتُ عن اللذاتِ حتى تولَّتِ ... وألزمتُ نفسي صبرَها فاستمرَّتِ
وكانت على الأيام نفسي عزيزةٌ ... فلما رأتْ صبري على الذُّلِّ ذَلَّتِ
وما النفسُ إلا حيثُ يجعلُها الفتى ... فإنْ أُطْمِعَتْ تاقَتْ وإلا تَسَلَّتِ

ومنه النظرُ في عواقبه، قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] الآية.

---

(١) لا أصل له بهذا اللفظ، وانظر الضعيفة برقم ٤٩٩.

(٢) ضعيف جداً مرفوعاً وضعيف موقوفاً كما في ضعيف الجامع برقم (٣٥٣٥).

الصِّدق: محثوث عليه لما تَعَلَّقَ به من صلاحِ الصادق في الدارَيْن، وصلاح المصدوق، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ ﴾ [الزمر: ٣٣] ومنه الصِّدِّيقُ، وإنه للمبالغة كالخِمِّير والسِّكِّير، ودرجةُ الصِّدِّيقِ أعلى الدرجات بعدَ النُّبوَّة، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم ﴾ [مريم: ٥٨] الآية. وقد مدح الله تعالى نبيَّه بالصِّدِّيقِيَّة، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ [مريم: ٤١].

فصل

ثُمَّ الصدقُ درجاتٌ؛ أوَّلُها: الصدقُ باللسان، والثاني: في النِّية، وهو أنَّ الباعثَ لا يكون إلا رضا الله تعالى، والثالث: وهو أنْ لا يكون فيه تَردُّد، والرابع: الوفاءُ بالعَزْمِ، قال تعالى: ﴿ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] والخامس: الصدقُ في الأعمال، وهو أنْ لا يعمل ما لا يَليقُ بباطنِه، وفي الأحوال نحو التَّوَكُّلِ والخوفِ والرجاءِ، ولهذا قال ﷺ: «اللَّهُمَّ اجعلْ علانيتي صالحة، واجعلْ سريرتي خيرًا من علانيتي»(١).

قال الشاعر:

إذا السِّرُّ والإعلانُ في المؤمنِ استوى فقد عزَّ في الدارَيْنِ واستوجبَ الثَّنا

الصَّلاح: هو أنْ يَصلُحَ لقُرْبِ الله تعالى، وهذا في الشرع، وقولُه: ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾ [الكهف: ١١٠] أي خالصًا؛ لأنه لا يَصْلُحُ لِقَبول الله تعالى إلا الخالصُ، وإنْ كان الصَّلاح في عباده عن الموافقة لما يصلح له، ومنه الصلح. والإنسانُ إنَّما يَصْلُحُ لِقُرْبِ الله تعالى، وقَبُولِ فضلِه، وإنه هو التقوى بالنظرِ إلى ما يَتَحَرَّز منه، والإحسانُ بالنظر إلى أثَرِه، قال تعالى:

---

(١) حديث ضعيف: الجامع الصغير ٤٠٩٧.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

الصَّمْتُ: بمعنى السُّكوت، وإنْ كان بَيْنَهما فرقٌ لما أنَّ السكوت يدل على النُّطق والصمت لا، فيُسمَّى جمادُ المالِ صامتًا لا ساكتًا، وقد ذكرنا فضله.

الصَّلَفُ: نحو من البَطَر، وإنه من جُملة الرياء.

الصَّفاء: ضِدُّ الكُدُورَة، وفلانٌ صَفِيُّ فلانٍ يَحتملُ أنَّه بمعنى المصَفَّى كالقتيل بمعنى المقتول، وفي عُرف الصوفيةِ عبارةٌ عن الخُلوصِ لله تعالى مِن كُدوراتِ الطبيعةِ والعادةِ، ولفظةُ الصَّفْوَةِ أكثرُ استعمالًا على لسانهم، وإنه من جملة الإخلاص.

الصَّعَرُ: عِوَجُ الخَدِّ، وإنه من أماراتِ الكِبْر، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨]، وقد مَرَّ في الاستكبار.

الصَّلابة: هو الشِّدَّة والقوة من قولهم: أرضٌ صُلْبَةٌ، وفي الشرع هي الخُشونةُ لله تعالى في محلِّها، فإنْ لم يُصادِفْ محلَّها فهو العُنف.

الصِّيانة: هي الحفظُ ويُراد بها حِفظُ الأمانات، والباعثُ عليها صدقُ الإيمان، أو حبُّ الثناء، وما يتعلَّق به من مصالح المعيشةِ.

الصَّوْلَة: هي العَدْوُ بشِدّةٍ في اللُّغة، فإن كانت في محلِّها فهي الشجاعةُ، وإن كانتْ في غيرِ محلِّها، فهي التَّهَوُّر.

الصَّوْل: في الجُملةِ أخلاقٌ قبيحة خصوصًا كالنخوة والقسوة، والبلادة، والغفلة.

الصَّلاة: إذا أُدِّيتْ بشَرائطها الظاهرةِ والباطنة شفاءٌ من كُلِّ داءٍ من أدْواءِ الصُّدورِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾

[العنكبوت: ٤٥] وقال ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه: «صلِّ فإن الصلاة شفاء»[1].

الصَّرْمُ: هو القطع، والمصارمة المقاطعة، وإنها حرامٌ إلا مع غير المسلم.

(١) حديث ضعيف: انظر الضعيفة برقم (٢٤٥٢). وفيه أنه عليه الصلاة والسلام تكلم بالفارسية! ولا يصح هذا.

باب الضاد

الضَّحِكُ: وإنْ لم يكنْ خُلُقًا، فداعيَتُه خُلُق مذمومٌ، وفيه من الآيات والأخبار، وشرطُهُ الغفلة، وسبَبُه: التعَجُّب عن فَرَحٍ، وعلاجُه: إزالةُ الغَفْلةِ بذِكْر الموتِ وأهوالِه، وقيلَ في الحكمة: عجبًا لمن أيقَنَ بالموتِ كيف يضحكُ؟ ولهذا كان البكاءُ مستحسنًا في الشَّرع، إذا لم يكنْ جَزَعًا وشكايةً، ثُمَّ التَّبَسُّم مستحبٌّ، روي عن النبي ﷺ أنه كان أكثر الناس تبسُّمًا[1].

الضَّلالُ: خِلافُ الهدى، والهدى هو الصراط المستقيم الذي بَيَّنَه الله تعالى في القرآن، وشرحَه على لسانِ نبيّه ﷺ. والضَّلالُ الغَيْبَةُ، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [السجدة: ١٠] أيْ غِبْنا، وقيل: هو المحبَّة - أيضًا - ويدلُّ على هَذَيْن، قوله تعالى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧].

الضَّرَر: قريبٌ من الشَّر.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي وانظر مختصر الشمائل (١٩٤).

باب الطاء

طُولُ الأَمَلِ: مذمومٌ في الشرع، عن علي رضي الله عنه قال: «إنَّ أشدَّ ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل»، وقال أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا تعجبون من أسامة المُشتَرِي إلى شَهْرٍ؟ إنَّ أسامة لطويل الأمل، والذي نفسي بيده ما طَرَفَتْ عيناي إلا ظننتُ أنَّ شفرَتَيَّ لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي، ولا لقمتُ لقمةً إلا ظننتُ أني لا أسيغها حتى أغصَّ بها من الموت، والذي نفسي بيده إنما توعدون وما أنتم بمعجزين»[1]، وسببه: حبُّ النفس وبقاءها، فتُصَدِّقُ لذلكَ بأكاذيبِ الأمل، فمَنْ عَشِقَ شيئًا صَدَّقَ بما يُكذِّبُ فيه، وعلاجه: الخلوة والتأمل، خصوصًا في أحوال مَنْ مضى مِنْ أقربائك، كيف بَنَوْا شديدًا وأمَّلُوا بعيدًا؟ فأصبحَ أملهم غرورًا، وقصورهم قبورًا، كيف تمزَّقتْ جلودُهم وأجسادهم، وتفتَّتَتْ قلوبُهم وأكبادهم، وليتأمَّلْ في أعضائه وأجزائه، فإنه يُصِيبُها ما أصابَهم، ولا تُؤخِّرنَّ إلى قضاء حوائجك، فحاجةُ مَنْ عاش لا تنقضي.

قال الشاعر:

فما قضى أحدٌ منها لُبانَته ... ولا انقضى أربٌ إلا إلى أرَبِ

الطَّيْشُ: الخِفَّةُ في غير محلِّها، وإنه مذمومٌ قال ﷺ: «عليكم بالسكينة والوقار». وسببه: العجلة التي هي خِلْقَة في الإنسان، وعلاجُه: الخلوةُ والجوعُ والسَّهَر والنكاح، والأشياء الدَّسمة، والاستحمام بالماء الفاتر.

---

(١) ضعيف: وانظر ضعيف الترغيب والترهيب ١٩٥٤.

الطَّمَع: إلى الله تعالى محمود، قال تعالى: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وإلى الخَلْق مذموم، قال ﷺ لمن استوصاه: «إيَّاكَ والطمَع فإنه الفقر الحاضر»(١)، وسببه: الحرص، فإنْ كان ذليل النفس، أظهر بطريق التَّكَدِّي، وإنْ كان عزيز النفس، أظهر بطريق العنف، وعلاجه: النظر إلى قسمة الرزق، وإنه سبب الذل، وربما يصير سببًا للحرمان.

قال الشاعر:

أَمَتُّ مَطامعي وأرَحْتُ نفسي ... فإن النفسَ ما طمِعَتْ تَهونُ
وأحْيَيْتُ الإياسَ وكان مَيْتًا ... وفي إحيائهِ عِرضِي مَصُونُ

وضدُّه القناعة المحمودةُ، على ما سيأتيك في بابه، إن شاء الله تعالى.

الطَّرَب: في العُرف خِفَّةٌ عن لذَّةٍ، وفي الوَضْعِ خِفَّةٌ عن لذَّةٍ أو مُصِيبةٍ، ومِن جُملةِ ما يُوجِبُ الطرب فسادُ المزاج، وقِلَّة الروحانية، والذي يَخرج إلى حَدِّ الطَّيْشِ مذموم، والأَوْلى هو الميلُ إلى السكينة.

الطَّعْن: أصلُه بالرُّمْحِ ونحوِه، والطعنُ في النَّسَب مذمومٌ، قال ﷺ: «ثلاثة من أمور الجاهلية الطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة»، وكذلك الطعن في الدين، والطعن في العِفَّة، هو القذفُ، وكذلك في كل شيء مِنْ أُموره، قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ [الهمزة: ١] وهو الطعان، وسببه: السَّبُعِيَّة، وعلاجُها: علاجُ الغَضَبِ.

الطُّمَأْنينة: السكون، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾

---

(١) ضعيف: وانظر الضعيفة برقم (٣٨٨١).

[الرعد: ٢٨] وسببه الباعث عليه: النظر في تغيُّر المخلوقات وانقضائها وفنائها، فإنها اليقين أيضًا.

الطِّيبَة: مِنْ طابَتِ النَّفْسُ، والمطايَبَةُ بين اثنينِ، وهو المزاح اللَّطيفُ، مستحسنٌ في الشَّرع، تقويةً لقلوبهم، بشرط أن يكون حقًّا، قال ﷺ: «إني لأمزحُ ولا أقول إلا حقًّا»[1]، كما قال لأبي عُمَيْرٍ، وهو صبيٌّ: «يا أبا عُمَيْر ما فَعَلَ النُّغَيْر؟»[2]، وسببه: لُطفُ الطبع، ومحبةُ الناس، والشفقة عليهم، إلا أنَّ فيه شرائط غامضة، نحو الصدق، وكفِّ الأذى، وتقويةِ القلوب بقدر الضعف، ولذلك وَرَدَ النهيُ عن المزاح على ما تبيَّنَ في بابه.

طلاقةُ الوجهِ: مندوبٌ إليها، كان النبيُّ ﷺ ضحَّاكًا بسَّامًا[3]. وقيل:

كُنْ رَيِّقَ البِشْرِ إنَّ الْحرَّ هِمَّتُه ... صحيفةٌ وعليها البِشْرُ عُنوانُ

(١) صحيح وقد تقدم بلفظ: (إنك تداعبنا؟...).

(٢) صحيح: متفق عليه.

(٣) صحيح: وقد تقدم.

باب الظاء

الظُّلْمُ في الوَضْعِ: وَضْعُ الشيء في غير موضعه، وفي العُرْفِ هو الاستئثار بغير الحق، والإيثار بالبعض على البعض، وسببه: حبُّ النفس والجاه واللذة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وعلاجه: النظر في مغبَّتِه، فالظلم مَرْتَعُه وَخِيمٌ، وسببٌ للعداوةِ والبغضاء، وانقلابِ الدُّوَلِ، وزَوالِ النِّعَم، وكان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إني أعوذ بك مِنْ أنْ أظلِم أو أُظلَم»[1].

الظَّنُّ: ظنُّ السَّوْءِ حرامٌ، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] ومنه الظِّنَّة، وهي التُّهْمة، وسببُ سوء الظَّنِّ: شُؤْمُ الفعل والعقيدة، كما قال الشاعر:

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءَتْ ظُنونه   وصَدَّقَ ما يَعتادُه مِنْ تَوَهُّمِ

وعلاجُه: المعاملةُ بمعيارِ الشرع، في فصل الخصام.

الظَّرْف: في العُرف نوعٌ من الجمال، وقد مرَّ ذِكْره.

---

(١) صحيح: انظر صحيح أبي داود (١٣٨١).

باب العين

العَقْل: يُراد به النُّورُ الفطري، ويراد به المكتسَب بالتأمل، ويراد به - أيضًا - الجَزْيُ على مُوجب العقل، وإنه ممدوحٌ غايةً، وأكثرُ أثَرِه في المنع عن مقتضيات الهوى، ولذلك سُمِّي عقلًا، كما قيل:

العقلُ عن دَرْكِ المطالبِ عُقْلَةٌ عَجبًا لأمرِ العاقلِ المعقولِ

العِفَّة: هو الصَّبْر، وقد مرَّ ذِكره، وكذلك العفاف، وكأنه يراد به الكَفُّ عن مقتضى مطلق الشهوة، وسببه: قَمع الشهوات.

العِزُّ: خلاف الذُّلِّ، مذمومٌ إذا كان للنَّفْس، قال تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، ممدوحٌ إذا كان لله تعالى، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨] وسببه: الاعتمادُ على الله تعالى، والتوكل عليه، والتسليم إليه، والنظر إلى التقدير، وأنواع ما أكرمه الله تعالى به.

العُنْفُ: الخشونة، مذمومٌ في الشرع، وهو قريبٌ مِنَ الخُرْقِ.

العُجْبُ: هو الارتياحُ بنفسه، أو بشيء من أمور الدنيا، قال ﷺ: «ثلاثٌ مهلكات: شحٌّ مطاع، وهوىً مُتَّبع، وإعجابُ المرء بنفسه»[1]، وسببه: الجهل بعَجز نفسِه، وظُلْمِها وضعفِها وبُخلِها، وعلاجه: النظر في

(١) حديث حسن: انظر صحيح الجامع برقم ٥٣٥٦.

هذه الأمور، فإن كان بالعلم فلينظر إلى جهله، وإن كان بالعبادة فلينظر إلى تقصيره، وقد ذكرنا نوعًا منه في الكِبْر.

ثُمَّ العُجْب قد يكون بمالٍ، وقد يكون بجمال، وكذلك بنَسَبٍ أو حَسَب، وغير ذلك. والفرق بين الكبر والعجب أن المتكبر لا يرى غيره عديله، إمَّا لماله أو لجاهه أو نسبه أوعلمه، والمعجب الذي لا [...] غيره عديله بكثر [الطا...].

العَفْوُ: الصَّفْح والتجاوز، وإنه محمودٌ شرعًا وعقلًا، وفي المشاهير: أنَّ اللهَ تعالى عَفوٌّ يحب العفوَ، والمانعُ عن العفو خوفُ الذُّلِّ، وإنه غلطٌ، إذِ العفوُ عندَ القُدرة، فأمَّا عند تَوَهّمِ العَجزِ، فعندَ الأكثرِ الأفضلُ هو التَّرْكُ؛ لأنه إنْ كانَ لا يَقْدرُ على التَّشَفِّي يَقْدِرُ على الخصومة، والمقصودُ إعدامُ الجِنايةِ، وإيمانُ الخائفِ، إذِ الجاني خائفٌ، فربَّما يَجنِي ثانيًا؛ لخوفِه، وبهذا الطريقِ كان في القصاصِ حياةٌ، والعفوُ أفضلُ مِنَ القصاصِ، لأنَّ القصاصَ إحياءٌ بإتْلافٍ، والعفوُ إحياءٌ بإحياءٍ، وأدفعُ للشرِّ؛ لأنَّ المقْتَصَّ منه - رَهْطُه وعشيرتُه - يَقُومون بنصرتِه، ويَصِيرُونَ حَرْبًا على مُسْتَوْفي القصاصِ، وكأنه المغنِيُّ بقوله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[البقرة: ٢٣] ولأنَّه يكون جماعةٌ عظيمةٌ في بحار مِنَّتِهِ، وعبيدَ إحسانِه، وإليه الإشارةُ بقوله ﷺ: «ما عفا رجلٌ عن مظلَمةٍ إلا زاده الله تعالى بها عِزًّا»(١). وقال تعالى: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: ٤٠] وفي الخبر: «يُنادى يوم القيامة: مَن كان له على الله حقٌّ فَلْيَقُمْ، فلا يقوم إلا مَن عفا». مع ما في العفو من استمالةِ القلوبِ النافرةِ، وتأليف الصدور المعادية، ولذلك قال تعالى

---

(١) صحيح بلفظ: (وما زاد الله رجلاً بعفو إلا عزاً...) رواه مسلم.

لنَبِيِّـــــه: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

العُرَام: مجاوزةُ الحدِّ في الطَّيْشِ، والخِفَّة مع نَوعِ قوَّةٍ.

العِنادُ: قوة الخلاف.

العُتُوُّ: التَّجبُّر.

العَداوة: قد تكون خُلُقًا مذمومًا يعادي الخلق من غير سبب ظاهر، ويحتمل أن يكونَ مِن آثارِ سخط الله تعالى عليه، قال ﷺ: «لا خير فيمن لا يَألفُ ولا يُؤْلَف»(١) وقال: «ألا أخبركم بِشِراركم؟» قالوا: بلى، قال: «مَن يُبغض الناس ويبغضونه»(٢)، وعلاجه: التوبةُ والإنابة، والتضرُّعُ إلى الله تعالى، والمساهلةُ في الأمور، والنظرُ في عواقبها.

العِلْم: دواءٌ مِنْ كُلِّ داء، ليس في الكتابِ ذِكْر العقل إلا هذا في العِلم، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «العقلُ عقلان: مطبوعٌ، ومسموع، ولا ينفع مسموعٌ إذا لم يكن مطبوع»، وإنه فطري - وقد يُسمَّى عقلًا - ومكتسَبٌ، وذلك بالمراتب على ما عُرِف.

العَوْنُ: الإعانةُ، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ [المائدة: ٢] وقال ﷺ: «إن الله تعالى في عَوْن العبد ما دامَ العبدُ في عون أخيه المسلم»(٣)، وهو نوعٌ من الإحسان.

العُلُوُّ: إن كان لله تعالى، فحَسَنٌ، وإنْ كان لنَفْسِكَ، فقبيحٌ.

العَارُ: السُّبَّة، والأَنَفَة، خُلُقٌ حَسَنٌ إن كان مِنَ المقابح، وإن كان مِنْ صُحبة الفقراء ونحوه، فقبحٌ.

---

(١) صحيح: رواه أحمد وغيره.

(٢) ضعيف: انظر ضعيف الجامع برقم (٢١٧٣).

(٣) صحيح: رواه مسلم.

العِتاب: حسَنٌ، وإنه معالجةٌ في طلبِ الأُلفة، كما قيل: ويبقى الوُدُّ ما بقي العِتابُ. أدبه: تحسين العبارة، وترقيقُ الكلام، وتلطيفُ المعنى، وأدبُ المحببِ الاعتذار.

العُذْر: في العُرف، عبارةٌ عن الاستمالةِ بنوعٍ من الكلامِ، وإنه غيرُ ممدوحٍ في الشرع، لما فيه مِنَ الذُّلِّ والكذبِ، اللَّهُمَّ إلا أنْ يُعتَذَرَ مِنَ الله تعالى، فهوَ أكرمُ الأكرمين، في الحديث: «ما أحدٌ أحبَّ إليه العُذر مِنَ الله»، وأدبُ المعتذَرِ إليه القَبول، والتَّلَطُّف صادقًا كان المعتذِرُ أو كاذبًا.

قال الشاعر:

اِقْبَلْ معَاذيرَ مَنْ يأتيكَ مُعتذِرًا   إنْ بَرَّ عندكَ فيما قال أو فَجَرا

العُزْلة: في الزَّبور: مَنْ تفرَّدَ عن الناسِ نَجا في الدنيا والآخرة. وقد ذُكِرَتْ في كتاب الآداب.

العُبودية: والعِبادةُ مشتقَّةٌ مِنَ العَبْدِ، وهو الذليل، وطريقٌ مُعبَّدٌ، أي مُذلَّلٌ، فالأول: هو التذلُّل لله تعالى بقَبولِ قضاياه، والثاني: كذلكَ بقَبولِ أمرِه ونَهيِه، ويحتملُ أنه مشتَقٌّ من: عَبِدَ أي أَنِفَ كما قال:

وأعبد أن أهجُر كُلَيْبًا بدارِم

وهو الأَنَفَة من عبادة غير الله تعالى، وإنه حقُّ التوحيد.

العِبْرة: والاعتبار من العبور، وهو مجاوزة عالم الظاهر إلى الباطن، وقد يعبر إلى جهة الدلالة على الوحدانية، كما قيل:

ففي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [فصلت: ٥٣] الآية. وعن عيسى صلوات الله عليه: «كلُّ نَظَرٍ ليس فيه عِبرة فهوَ لَهْوٌ».

العِشْقُ: هو المحبة المفْرِطة، عن أفلاطون: إنه جُنونٌ إلهيٌّ. فلا يُحمَد

صاحبُه ولا يُذمُّ، وقيل: ما يزيدُه السماعُ، ويُزيلُه الجِماعُ، وقيلَ: إفراطُ المحبة، وقيل: هِمَّةُ نَفْسٍ فارغةٍ، ولعَمري إنه يتمَكَّن من القلب الفارغ، كما قيل:

أتاني هواها قبلَ أنْ أعرفَ الهوى فصادفَ قلبًا فارغًا فتَمَكَّنا

وعن بعضِ المتكلِّمينَ: إنَّه طمَعٌ يتولَّد في القلب، ويجمع إليه مراد الحرص، فكلما قويَ ازدادَ صاحبُه اهتياجًا، وقد كتَبَه الأطباءُ في عِداد الأمراض، وذَكروا أنَّ أعراضَه: السَّهَرُ، وتواتُر النَّبْض، وتغيُّر الطبع، وغيرُ ذلك على ما عُرف، وما يُعالج به من الاستحمام والادِّهان، فقليلُ الجَدْوَى، وما قيل: إنه يُعالَجُ بوِصالِ المحبوب فلعمري إنَّ فيه خيرًا كما قيل:

بكُلٍّ تداوينا فلَمْ يُشْفَ ما بِنا على أنَّ قُرب الدارِ خيرٌ من البُعْدِ

وقيل: بأنه لا علاج له، وكيف يُرجى الشفاءُ أو يَنجع الدواء، ولا ذلك إلا بالتداوي، ولا تداوي إلا بالعزيمة القوية، والإرادة الصحيحة؟

والعشق يورث خللًا في القوَّة المخيِّلة والمفكِّرة، ولقد أحسن أبو الطيب في قوله:

يا عاذِلَ العاشقين دَعْ فِئةً أضلَّها اللهُ كيف ترشدها؟

وقد ورَدت الأخبارُ والأشعار فيه كثيرة، تُعرف من غير هذا الكتاب.

فصل في أنه غير مذموم

وذلك لأنه أمرٌ جَبْريٌّ يتسلَّط على الطَّبْع كالجُوع والعطش حتى يزيد على سلطان الملك، كما قال الرشيد:

ما ذاكَ إلا أنَّ سلطانَ الهوى وبهِ عَزَزْتُ أعزَّ مِنْ سلطانِ

إلا أنه يُذَمُّ لما هو مسابقٌ عليه كالنظر وسماعِ الأخبار، فإنه سببُ

الهلاك، فإنْ مالَ قلبُك به فقد فسد مزاجك، وعسر علاجك، وكأنه المغْنِيُّ مِن قوله: «لا تُتْبِعِ النَّظْرةَ النظرة فإن الأولى لك والثانية عليك»، وقد ألمَّ بهذا المعنى من قال سماعًا:

يـــا عـــبادَ الله منـــي فكـفـــ ـفــوا عـــن ملاحظـــة المـــلاح
فـــإن العـــشق آخـــره بلايـــا وأولـــه شـــبيه بـــالفلاح

ولما هو لاحقٌ، وهو إظهار المحبة، وترك العفة لمن عشق فعَفَّ وكَتَمَ، ثُمَّ مات مات شهيدًا. كذا روي عن رسول الله ﷺ[1]، وقد يَغلِبه الحال فيعجزه عن الكتمان الكُلِّي، فينفث صدره في الجفاء.

(١) موضوع: انظر ضعيف الجامع برقم (٥٦٩٧).

باب الغين

الغِيبة: ذِكْرك أخاك بما يكرهه في غَيبَتِه، سواءً كان بنقصانِ نفسِه أو دِينه، أو غير ذلك، وإنها قد تكون بالقلب، وهو الأصل، والظاهر ثمرته، وقد يكون باللسان، وقد يكون بالإشارة والإيماء، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢] الآية. وقال ﷺ: «إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا»[١]، والأخبار في هذا الباب كثيرة، والباعث عليها: الحسد، والغيظ، وموافقة الأقران، والاستشعار، والمطايبة، والغَلطُ بأنْ يظنَّها من الحِسْبَة، وعلاجُها: بالخلوة والجوع، وأن يعلم مفاسده، قال ﷺ: «ما النارُ في النفس بأسرعَ من الغِيبة في حسنات العبد»[٢]، ثُمَّ ربما يكون مشارِكًا له في العيب المذكور؛ فتَنَبَّهْ على عيوب نفسك، ثُمَّ إنها تحِلُّ لضرورة، ومنها التَّظَلُّم، قال ﷺ: «لصاحبِ الحقِّ مقالٌ»[٣]، ومنها الاستعانة على تَغيِير المنكَر، قال ﷺ: «اذكروا الفاجر بما فيه»[٤]، وتحل - أيضًا - لا على قصد التَّعَنُّتِ.

الغَضَبُ: ثَوَرانُ الحرارةِ والدَّمِ، وانتشارهما في العروق لدفع المكروه، أو قصد الانتقام، وقيل: غليان دم القلب مع إرادة الانتقام، وإنه ممدوح في

---

(١) ضعيف جداً: انظر الضعيفة برقم (١٨٤٦).

(٢) قال العراقي: لم أجد له أصلاً.

(٣) صحيح: متفق عليه.

(٤) ضعيف: انظر ضعيف الجامع برقم (١٠٤).

محلِّه، قال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] وقد مُدِحت الشجاعة، ولا تكون إلا مع الغضب، وإنْ جاوز حدَّه يُذَمُّ، وقد ذُمَّ في الشرع مطلقًا؛ لأن الظاهر أنَّ عموم الناس لا يَقِفُون على حدوده، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وقال ﷺ: «الغضب يُفسد الإيمان كما يفسد الصَّبِرُ العسل»[١]. وقال: «من كفَّ غضبه ستر الله عورته»[٢]، وما يَدُلُّ على فضيلة الحلم والعفو، واللطف، والإحسان، فإنه يدل على رذائلِ الغضب، وأسبابه: العُجْب، والمزاح، والمماراة، وشدة الحرص على المال والجاه، وإنه لا يكون بدون الكِبْر، وعلاجه: أولًا: بتقليل المادة، فما يرقِّق القلبَ مِنَ.... وأكل خُبز الشعير، والخلّ، ولهذا قال ﷺ: «نِعْمَ الإدام الخَلُّ»[٣]، وجميع ما يقمع الصفراء، ومما يفريه غايةً مجالسةُ الحكماء، وسماع أخبارهم، وثانيًا: بالنظر في الأخبار الواردة في فضيلة العفو، وفي عواقب العداوة والانتقام، وما يتعلق به من المضارِّ، وفي بعض الكتب: «يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب».

والغَيْظ: أشدُّ الغضب، قال ﷺ: «من كظم غيظًا، وإن شاء أن يُمضيه أمضاه، ملأ الله قلبه يوم القيامة رضًا»[٤].

الغَيْرة: محمودة، إلا عند الإفراط؛ لأنها تكون سببًا للظنون الكاذبة، في الحديث: «أنا أغْيرُ مِن سعدٍ، والله أغْيَر منِّي»[٥].

---

(١) ضعيف: الضعيفة برقم (١٩١٨).

(٢) ضعيف: وإن حسنه الألباني فإن بكر بن خنيس واهٍ كما قال الذهبي.

(٣) رواه أبو داود في السنن، (٣٩ الخل) [١٦٠/٤] ورواه ابن ماجه في السنن، باب الائتدام بالخل، حديث رقم (٣٣١٦) [١١٠٢/٢] ورواه غيرهما.

(٤) ضعيف: وفيه بكر بن خنيس وهو متروك على التحقيق كما تقدم في الذي قبله.

(٥) صحيح: متفق عليه.

الغَفْلة: مذمومة، قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وإنها عن الفواحش محمودة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ﴾ [النور: ٢٣]، وهي نَوْمُ القلب كما قيل: وأنت إذا استيقظْتَ - أيضًا - فنائم.

الغِنَى: هو عدم الفقر، وإنه في الحقيقة لله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨] والإنسان لا يتصور له ذلك إلا بالقلب القانع المعتمد على الله تعالى، ولذلك قال ﷺ: «ليس الغنى بكثرة العروض، إنما الغنى غنى النفس»[1].

الغَمُّ: تألُّم القلب لفوات محبوبه، والهَمُّ تألم القلب للقصد إلى المحبوب، وقد يكون الغمُّ مرضًا لازمًا للقلب من غلبة السوداء، فيعالج بالنظر إلى فضل الله تعالى وإحسانه، ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ [يونس: ٥٨] وفي الطلب بالمفرِحات ومزاولة المطلوبات.

الغَباوة: الحمق، ولا علاج له.

الغِلُّ: الخيانة، والغُلول: الخيانة في الغنيمة خاصةً، وقد ذكر في الخيانة.

الغِشُّ: إرادة الشرِّ، وهو ضدُّ النصيحة التي هي إرادة الخير، قال ﷺ: «من غشنا فليس منا»، وسببه: السَّبُعيَّة أو الطبيعة العَقْرَبِيَّة، ودواؤه مذكور في الحسد.

الغُلُوُّ: مجاوزة الحدِّ، وإنه مما يذم، قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا

---

(١) صحيح: متفق عليه.

﴿تَعْتَدُوهَا﴾[البقرة: ٢٢٩].

الغِيُّ: الضلال، ضدُّ الرَّشَد.

الغَدْرُ: نقض العهد، مذموم جدًا، قال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠] وهو النكثُ، والباعث عليه: ضعفُ الرُّجولية، ووَهَنُ العَزْم، والأنوثية، كما قيل:

لها عهدٌ إذا غَدَرتْ حسناء أوفت بعهدها، ومن عهدها أن لا يدوم

والعهد على نوعين: صريحٌ ودلالةٌ، وكل واحد منهما إمَّا مع الله تعالى، وإمَّا مع عباده.

الغُرور: قال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، فمن المغتَرِّين الذين يَدَّعون العلم بالله تعالى وصفاته، ويُهمِلون العمل، وكذلك الذين أحكموا الأحكام الشرعية، ولم يعملوا، والذين يعرفون الأخلاق لكنهم لعُجْبِهم يَظُنُّون أنهم بمَعْزِل عنها كذلك، وأصنافهم كثيرة، وعلاجُه: إمعان النظر في المعتقدات مع شدة الابتهال إلى الله تعالى.

الغَلَبة: هو الظَّفَر، ومنه: غَلَبة الشيء، وقد تكون ظاهرةً، وقد تكون باطنةً، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

الغُفران: هو السَّتْر، وقد يُوصف به العبد، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟﴾ [الجاثية: ١٤]، قال ﷺ: «مَن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة»[1] وفي الستر صيانةُ نفسك عن الخُلق الذميم أولًا، وصيانةُ صاحبك عن الفضيحة ثانيًا، وصيانةُ الخَلْق عن الجرأة على المعاصي ثالثًا،

---

(١) صحيح: رواه مسلم.

فإن الدَّاعي الطبيعي إلى المعاصي اللذيذةِ متوافرٌ، والمانعُ الهَيْبةُ المتمَكِّنةُ في القلبِ بتفخيم الشرع أمرَه، وعندَ كثرةِ القِيل والقال يَقِلُّ وَقْعُه، ويَهُون على القلب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ ﴾ [النور: ١٩].

الغِلْظَة: العُنف، ممدوح مع الأعداء، قال تعالى: ﴿ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣] مذموم مع الأولياء، قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

باب الفاء

الفَقْر: يُذكر ويُراد به الافتقار إلى الله تعالى، والعبدُ حقيقٌ به، ويُراد به قلة المال، قال ﷺ: «إن الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال»[1] وفي المشهور: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمس مئة عام»، والأخبارُ الواردة في فضيلة الفقر كثيرةٌ، وأدَبُه: الرضا أو القناعة أو الصبر أو التعفف، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] وأن لا يميل إلى الأغنياء، ولا يدَّخِر مالًا بل يكون وُثوقه واعتمادُه على الله تعالى، فتكونُ صدقتُه أفضل الصدقات، ودرجته أعلى الدرجات، مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقًا.

الفَخْر: مذموم، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] وإنه من ثمرات العُجْب والجهل بمقادير الأشياء، إذِ الواقف على كُنْه الدنيا وانصرامها كان بمعزلٍ عن الافتخار به وبغيره من الأمور الظاهرة والباطنة، كذلك لأنَّ للتقوى والتوكل وغيرهما من الأمور الباطنة شرائطُ غامضة فربما لم يستجمع، ثُمَّ هذا من الله تعالى فضلٌ، فرؤيةُ فضلِه تورِثُ الافتقارَ، وتبطل الافتخار.

الفُحش: عبارةٌ عن القبائح المستورة بالعبارة الصريحة، حتى كَرِه بعضُهم لفظَ الإبط، وذَكَر مكانَه باطنَ اليَدِ، قال ابن عباس رضي الله عنه: «إنَّ الله تعالى حَيِيٌّ كريمٌ، كَنَى باللَّمْسِ عن الجماع»، قال عليه السلام: «إياكم

(١) ضعيف وانظر ضعيف الجامع برقم (١٧٢٢).

والفحش»[1]، والتفَحُّش: تكلُّفٌ فيه، وسببه: قِلَّةُ المراقبة أو صُحبةُ المتفاحِشِين، وذِلَّة النفس، ولُؤمُ الطبع، وعلاجُه: الرغبةُ في معالي الأمور، وصحبةُ الحكماء، والمراقبةُ، والخلوة، والجوع.

الفِكْرة: يُراد بها ما يتعلَّقُ باختيارِكَ من التفكُّر، قال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية. وقال تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾[البقرة: ٢٨٣]، وقال ﷺ: «من هَمَّ بسيئة فلم يعمَلْها لم تكتب عليه لأن تركها حسنة مكفرة لها»[2]. وما لا يتعلق باختيارك كذلك، وهو الخطرة الأولى، وإنه مما لا عقاب عليه بذلك، قال ﷺ: «إن الله تعالى عفا عن أمتي»[3]. الحديث، ثُمَّ التفكُّر بالإضافة إلى المتفكِّر على أنواعٍ كثيرةٍ: فمنها: التفكُّر في ذاتِ الله وصفاته، ولمَّا قَصُرَتْ أفهامُ العامة عن دَرْك المقدَّس عن الألوان والأشكال، المنزَّه عن إدراك الخيال، قيل لهم: تَفَكَّروا في الخَلْق ولا تتفكَّروا في الخالق. وأفضلُ أبوابِ التفكر، التفكرُ في نِعَم الله تعالى، فإنه سببُ الرقة، والإنابة، والضراعة، والتوكل، والتسليم، ثُمَّ التفكرُ في خلق السماوات والأرض وما بَيْنَهما، قال تعالى في معرض المدح: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وفي الحديث بروايةٍ: «تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من عبادةِ سبعينَ سنة».

وأمَّا أصنافُ النِّعَم فكثيرةٌ لا يُحصى عددها في النفس خصوصًا، فيها وفي غيرها، فإن فيها الظاهرة، من الأعضاء المركَّبَة، نحوَ اليد والرِّجْل،

---

(١) صحيح: وانظر صحيح الترغيب برقم (٢٦٠٣).

(٢) صحيح: متفق عليه.

(٣) صحيح: بلفظ: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم).

والبسيطةِ نحو اللحم والدم، وغير ذلك، والباطنة نحو القوى والأرواح وغيرها، فإنه يستجمع بذلك ذِكرَ عجائبِ النِّعم، وغرائب الصُّنْع، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فُضُولُ الكلامِ: نوعان: ما لا يَعْنِيك، وإنه مذمومٌ لما فيه من إتلافِ العمر، قال ﷺ: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، وما يعنيك: وتتعلق به فائدتك، لكنه يمكنه ذِكره بأوجه منه فتكون الزيادة فضلًا، قال ﷺ: «طوبى لمن أمسك الفضل من قوله وأنفق الفضل من ماله».

الفُتُوَّة: تُنْبِئ عن الجود، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ [الكهف: ٦٠] وفي أصحاب الكهف: ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ ﴾ [الكهف: ١٣]، وفي الحديث: «لا تقولوا: عبد فلان، ولكن قولوا فتى فلان» إنه يستعمل في الخدم غالبًا فيتوهم منه أنه الجود بالنفس والمال من غير ادخار ولا مِنَّة، وما هذا سبيله فهو في نهاية الحسن.

الفِطْنَة: الذكاءُ، الفلاحُ، البقاءُ، وقيل: الملكُ، وقيل: النجاةُ، وإنه في الآخرة ثوابُ الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، والإنفاق.

الفَرَح: بالدنيا مذموم؛ لأنه سبب الحسرة، وألم الفراق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]، والأدلة الواردة في فضيلة الحزن والبكاء تدل على ذم الفرح، ولا بدَّ له من الغفلة، وفيها من المفاسد، ثُمَّ إنه سببٌ للقسوة والشهوة والجُرءَة على المعاصي، وكيف يَفرح وأسباب الهلاك أحاطتْ به؟ فلا راحة للمؤمن دُون لقاء الله تعالى، وإنما يفرح بفضل الله ورحمته، قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ٥٨] الآية.

الفَظَاظَة: الغلظةُ، الفِسْقُ، الخروجُ عن حدِّ الطاعة.

الفُجُور: المبالغةُ، وسببهما الأقوى ضعف الإيمان، فليَتَقَوَّ بالنظرِ في الأدلة القاطعة إن كان لذلك أهلًا، وإلا ففي أحوال الأنبياء والأولياء. وإصلاحُه: بالجوع، والحزن، والخلوة والسهر، وصحبة الأخيار، فهذا هو المجاهدة، والله تعالى يقول في الذين جاهدوا فينا: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الفساد: خروج الشيء من جنسه، ويلازمه الكون، وهو أن يصير جنسًا آخر، والإفساد مذموم لما أنه إبطال مصالح الخلق وتضييق طريق إقامة التكليف، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

الفَتْكُ: القتل عن غفلة وسرعة، وإنه بغير حقٍّ حرامٌ، وبحقٍّ مذمومٌ، لما فيه من ترك الإحسان، قال ﷺ: «إذا قتلتم فأحسنوا... »[١].

الفاقَة: قريبٌ من الفقر أو عينه.

الفَزَع: الخوف فجأة، وإنه من أمارات الجبن، وقد مرَّ علاجه.

الفَراغ: مذمومٌ لما فيه من إتلاف العمر، وتضييع الأنفاس العزيزة، خصوصًا للشَّابِّ، قال ﷺ: «إن الله تعالى يُبغض الشاب الفارغ»[٢].

الفِقْه: والفَقَاهَة، الفَهْم.

الفَضْل: الزيادة، وفي العرب عبارة عن الإحسان زيادة على ما يستحقه، فإنْ كان مثل ما يستحقه، فهو العدل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

الفَصاحة: إصابة المعنى بأبين عبارةٍ وأوجزها، غيرُ ممدوحٍ جدًا في

---

(١) صحيح: رواه مسلم.

(٢) لا أصل له كما قال العراقي.

الشرع، لما جاء من فضائل الصمت، وقِلَّة الكلام.

الفرار: من أمارات الجبن، إلا أن يكون في موضعِه فإنه حَسَنٌ، وإنه من الشجاعة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ ﴾ [الأنفال: ١٦] الآية. والفرار إلى الله تعالى هو الإنابة، قال تعالى: ﴿ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾[الذاريات: ٥٠].

الفَحْصُ: هو الاستكشاف.

والفُرار: هو النظر إلى لسان الدابة، غير مستحسن في الشرع، إلا للولاة بشرط المبالغة في النظر، فإنه فيه من إظهار القبائح.

باب القاف

القُـرْبة، والقُـربُ مـن الله تعالـى: العـبادةُ لـه، والـتَّخَلُّق بـالأخلاقِ المستحسنة، والتقـرب إلـى الله تعالـى بهمـا، قـال ﷺ: «إذا تقـرب الـناس بالنوافل فتقرَّبْ أنت بعقلك»[1].

القَسْوة، والقساوة: ضِدُّ الرِّقَّة، وقد مرَّ ذِكْرها.

القُوَّة: ضـدُّ الـضعف، وهـو أنْ لا يخـاف إلا الله تعالـى، ولا يـرجو إلا إيَّاه، قال ﷺ: «المؤمن القوي أحبُّ إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف»، ويحتمل أنَّ مراده ﷺ بالمؤمن القوي مَنْ له قوَّةُ قَهْرِ النَّفْس.

القُـدْرَة: ضـدُّ العجـز، وإنهـا علـى الكمـال لله تعالـى، وهـي ممدوحـة، خصوصًا القدرة على النفس.

القَهْر: هـو الإذلال، ممـدوحٌ فـي محلِّـه، مذمـومٌ فـي غيـر محلـه، قـال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

القَرار: هو الثَّبات، مستحسنٌ في أكثر الأشياء، إلا بعارضٍ، فمَنْ ثَبَتَ نَبَتَ، ولا يَتِمُّ أمرٌ إلا بالثبات، قال تعالى: ﴿لَمَّا صَبَرُواْ﴾ [السجدة: ٢٤].

القناعة: تَرْكُ الاعتراضِ والطمع، وفيها الغنى، قال ﷺ: «القناعة كنز لا يفنى»، والباعثُ عليها: رؤية التقدير، وعزَّة النفس.

القُنوط: اليأس، حسَنٌ من الناس، قبيحٌ من الله تعالى، وعلاجُه: النظر

(١) حديث موضوع: رواه أبو نعيم في (حلية الأولياء) ١٨/١ وفيه محمد بن عبد النور ولم أقف له على ترجمة. وحبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعنه.

في سَعَةِ رحمة الله تعالى.

القُصُور، والتقصير: تفعيلٌ منه، والعبدُ وإنْ جَلَّ قدره فهو مقصِّرٌ، بالإضافة إلى ما يستحِقُّه الله تعالى.

القِرَاعُ: وهي الحربُ، والتقريعُ التَّوبيخُ، وإنه مذمومٌ، والتعييرُ مناسبٌ له في العِلّة وهو البغي، في بعض الآثار: «لا تُعَيِّر أخاك بالذنب، فيعافيه الله تعالى ويَبْتَلِيكَ».

القُنوع: يُذكَر ويُراد به السواك، ويُذكر ويُراد به القناعة.

القَلَق: هو الضجر، وضيق القلب.

قِراءةُ القرآن: مِنْ أفضل القراءات، وقد مرَّ ذِكْر فضيلتها.

قِيامُ الليل: قال ﷺ: «أفضل الصلاة بعد الفريضة الصلاة في جوف الليل»، وفيه من الآيات والأخبار، والباعثُ عليه: النظر في فضائله.

القَيْلُولَة: نومُ النهار، ولها خواصٌّ مستحسنة شرعًا: الحزنُ، ورقةُ القلب، والاستعدادُ لقيام الليل، وإجمامُ الخاطر، وزيادةُ الفهم، وإزالة الغفلة واللغو، وقد جاء في الخبر: «قِيلوا فإنَّ الشيطانَ لا يَقِيل»[1].

القَدْح: التَّعْييبُ، داخلٌ في الغِيبة.

القَذْفُ: الرَّمْيُ، وقد بالغَ الشرعُ في التشديد فيه.

قَطِيعَةُ الرَّحِم: حرامٌ، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢] الآية.. وسبب تَرْكِها: الحِلْمُ، والرِّفْقُ، والنظرُ إلى ما يَتعلّق بها من المصالح، نحو التناصر.

القَصْد: هو العزمُ والنيَّة، وإنه شرطٌ لكل عبادة، قال ﷺ: «لا عمل

---

(١) حديث حسن: انظر صحيح الجامع برقم (٤٤٣١).

لمن لا نية له»[1]، وقال: «يُحشر الناس على نياتهم»[2]، وفيه الكثير من الأخبار، ثُمَّ النيَّةُ الحقيقية الناشئةُ من القلب بلا تكلُّف، فإن ما يحتاج فيه إلى استحضار، فهي النية الجَعلية، وإنها ضعيفة الجدوى، عند المحققين في الدين.

القَوْل: حسنٌ وقبيحٌ، وقد مرَّ ذِكْره بتمامه.

---

(١) لا أصل له بهذا اللفظ في الأحاديث الصحيحة، وروي بإسنادين أحدهما ضعيف والآخر واهٍ جداً.

(٢) حديث صحيح: انظر صحيح الجامع (٨٠٤٢).

باب الكاف

الكِبْر: قد مرَّ ذِكْره.

الكَذِب: كذلك، في الأخبار، وإنه في المستقبل يسمَّى خُلقًا، مذمومٌ في الشرع، قال تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، سُئل رسول الله ﷺ: «أيكون المؤمن كاذبًا؟ قال: لا »، وفيه من الآيات والأخبار.

فصل في المعاريض

قال عمر رضي الله عنه: « إنَّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب»[١]، وهو ما يكون صدقًا بالإضافة إلى قصدِكَ، كذبًا بالإضافة إلى فَهْمِ السامع، كمَنْ سُئلَ: هل فلان في الدار؟ فيقول: ليس هنا، وإنه لا يجوز إلا عند الضرورة؛ لأنه لا يخلو عن تهمة الكذب، قال عليه السلام: «مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يَقِفَنَّ مواقفَ التُّهَم»[٢]. والضرورةُ هي الإصلاح بَيْنَ الناس.

الكُفر: مشتق من الكَفْر، وهو السَّتْر، والكُفران سَتْرُ النعمة، مذمومٌ، قال تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] وسببٌ لنقصان النِّعَم، وقد مرَّ الكلام فيه.

الكَسَل: كان رسول الله ﷺ يتعوَّذ بالله من الكسل، وإنه فتورٌ في

(١) روي مرفوعاً ولا يصح: وصحّ موقوفاً عن عمرو بن عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) لا أصل له قاله الحافظ الزيلعي عندما قال: غريب وهو اصطلاح خاص به. (تخريج أحاديث الكشاف).

الأعضاء بسبب فتور الإرادة، لا لضعف الجسم، وهو سبب لقعوده عن مصالح الدنيا، وثواب الآخرة، ومن أسبابه: فتور الاعتقاد، كما في حق المنافقين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] وعلاجُه: تقويةُ الإيمان، ومن أسبابه: حبُّ الرَّاحة، وعلاجُه: النظر في آفاتها، وغلبة الرطوبة، وعلاجها: الرياضاتُ المسْخِنَة.

الكَرَم: يُذْكَر، ويُراد به العزَّة والعظمة والإحسان، وقد أكثروا في تفسيره، وقيل: إنه مشتقٌّ من الكَرْمِ، فإنه لذيذ الثمر، سهل المتناوَل قريب، وقيل: هو الذي إذا نبت اعتذر، وإذا أعطي قبل المنة، كما قيل:

يُعْطِيكَ مبتدئًا فإن أعجلته ... أعطاكَ معتذرًا كمَنْ قد أجرما

ومن أسبابه: النظرُ في كرَم الله تعالى بعباده، والنظرُ في حكايات الكرماء، والتكرُّم تفعُّل منه.

الكِفاية: صفةٌ، الكافي وهو الله تعالى في الحقيقة، والعبدُ - ولو كان - لكان بإذن الله، وأفضلُ وجوهها كفايةُ شرِّ نفسِهِ.

الكَفُّ: هو المنع.

الكَفاف: قدر ما يكفيه عن السؤال، قال ﷺ: «اللَّهُمَّ مَنْ أحبَّني فارزُقْه العفاف»[1]، والكفاف كتمان السِّرِّ، مَرَّ في الإفشاء.

الكَلال: الإعياء.

كظم الغيظ: مرَّ في الغضب.

الكَيْد: توجيهُ الشرِّ عن خِفْيَةٍ، فإن كان مع الكفار لله تعالى فحسَنٌ، وإلا فلا، والدافعُ لكيدِ الأعداءِ الاستعانةُ بالله تعالى، ثُمَّ إظهارُ العجزِ بالنظر

(١) موضوع: رواه البيهقي، وفيه متهم بالوضع.

في المراصد، وإنه بابٌ عظيم من علم السياسة.

الكَشْف: الإظهارُ، والكشوف الظهور، وعند الصوفية هو الوقوف على شيء من عالم الغيب بنور اليقين.

الكَنُود: الكفران بذكر المحَن ونسيان النعم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ [العاديات: ٦]، وعلاجُه: أن يَعرف ما منعه الله تعالى فهو حقه، وهو عادل في المنع، ولعل المنع خيرٌ، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

الكنز: الكنوز، وأصله فِعل الكانِز، ويُروى مرفوعًا: لكل مالٍ لم تؤد زكاته فهو كنز.

الكمال: كانت العرب تسمِّي من استجمَعَ الكتابةَ والشِّعر والرمي والفروسية كاملًا، والكاملُ متصفٌ بصفة الكمال، ولما كان كمال الشيء أن لا يحتاج إلى غيره في سببه أي شيء كان، فما وراءه فهو نقصان، ثُمَّ الكمال في التحقيق لله تعالى، وللعبد بالإضافة على حسب ما يليق به، فكمال البدر أن يمتلئ نورًا، وإن كان لا يستحيل في العقل الزيادة، كما قال الحكيم:

إذا تَمَّ أمرٌ دَنا نقصُه   تَوَقَّعْ زوالًا إذا قيلَ تَمْ

الكَدُّ: الإتعابُ، وهو ممدوحٌ، وشَرَطَ الحكماءُ في شرائطِ الصالحِ أنْ يكون كَدُودًا لا مُتَنعِّمًا، فإن الكَدود إذا انضَمَّ إليه الرَّأْيُ استجمعَ خيرَ الدنيا والآخرة.

الكَدْح: الكَسْبُ، والكسب عملٌ يصلح منه شيء، قال تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وفي العرف يُراد به الاشتغال بأسباب المعيشة،

وما كان منه وسيلة إلى فرض، نحو قضاء الدين، وأداء النفقة المفروضة ففرض، ووراء ذلك تعطفًا على الجار مثلاً، فهو مندوبٌ إليه، قال تعالى: ﴿أَنفِقُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، وبعضهم ظنوا أنه نقص، وأنه اعتمادٌ على غير الله، ونَعِمَّا قالوا فمن اعتمدَ على الكسب، تَرَكَ التوكلَ على الله تعالى، فأمَّا إذا اشتغل به، وتوكل فقد أتى بمُخِّ العبادة.

الكَبَد: المشَقَّة، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، وقد مرَّ أنَّ الراحةَ المطلقةَ لا تتصور في الدنيا، إذِ الإنسانُ مع ضعفِه وجهله، مُبْتَليً بأشياء لا تزايله منها حقوق الشرع من القيام والصيام، وغير ذلك، ثُمَّ بعد ذلك كله ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [سورة التكاثر: ٣ - ٤] ومنها حقوق السلطان، وتعظيمٌ باللسان، ومنها التقدير والقضاء، والمصائب والرزايا، من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال، والأنفس والثمرات، ومنها الخَلْق وشرهم، وشرّ لسانهم، ومنها النفس وشهواتها من الجوع والعطش، فلا فرحَ إلا بفضل الله تعالى.

باب اللام

اللِّين: قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وإنه ضد الغِلظة، ومِلاك الرِّفق، والباعث عليه: النظر في حُسْن عاقبته.

اللُّبُّ: خالصُ العقلِ، قال تعالى: ﴿لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وهو الذي لا يَشُوبه الهوى، ولا تُخالطه العادة، ولا يمازجه التقليد.

اللَّوْم: فعلُ اللائم، حَسَنٌ لنفسه، والله تعالى أقسمَ بالنفس اللوَّامة؛ وهي التي تلومك على المعاصي، وأما لوم الغير، فبالنظر إلى ذاته قبيحٌ، لما فيه من أذى الغير، إلا إذا تعلَّق به نفع الزجر، قال تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

اللُّؤْم: ضد الكرم، وقد مرَّ.

اللَّعْن: الطَّرد. قال ﷺ: «المؤمن ليس بلعَّان»[١]، يعني لا يقول: لعنةُ الله على فلانٍ، ثُمَّ إنَّ واحدًا حُدَّ في مجلس الرسول حَدَّ الشُّربِ مرَّاتٍ، فقال بعضهم: لعنةُ الله عليه، فقال ﷺ: «لا تقل فإنه يحب الله ورسوله»[٢]، وفيه من الأحاديث ما فيه، ولهذا قال ﷺ للنساء: «إنكن أكثر أهل النار لأنكن تكثرن اللَّعن، وتكفرن العشير»[٣].

اللَّغْوُ: ما لا يحتاج إليه من الكلام، والاشتغال به تضييع للعمر، وإنْ

---

(١) صحيح: انظر صحيح الأدب المفرد رقم (٣١٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري.

(٣) صحيح: متفق عليه.

كان لا يؤاخذ به، قال تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] وقال: ﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢].

اللَّهو واللَّعب: إذا استرسَلْتَ فيما تشتهي، وتركتَ محافظةَ الحدود، ومراقبة الوقت، إن كان بغيرِ اختيارك فهو اللَّهو، ورجلٌ لاهٍ؛ أي غافل، واللَّعب: فعل يقصد به الغفلة والفرح، واسم اللهو لا ينبئ عن الفعل، ولمَّا كانت حياة الدنيا تغافلًا بفعل وغيره، أخبر الله تعالى فقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ [محمد: ٣٦]، وعلاجُه: النظر إلى العواقب، والتأمل في أحوال الأنبياء والأولياء، والخلوة، والجوع، وقد جمع أبو العتاهية ما يُهيئ اللعب واللهو:

إن الشباب والفراغ والجِدة ... مفسدةٌ للمرء أي مفسدة

فصل

وما يحسُنُ من اللعب فثلاثٌ: قال ﷺ: «لا لعب إلا في ثلاث: تأديبك فرسك، ورميك عن قوسك، وملاعبتك أهلك»(١)، وفي حكمة آل داود: «ينبغي للعاقل أن لا يغفل عن أربع ساعاتٍ: ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يجلس إلى عالم يعلمه أمر دينه ودنياه، وساعة تُخلِّي بين نفسه ولذاتها فيما يحل، فإنها عَوْنٌ على تلك الساعات»، وقيل في معناه:

أُرَوِّحُ النفسَ ببعض الهَزْل ... تجاهلًا منِّي بغير الجَهْلِ

أمرح فيه مرح أهل الفضل ... والمَزْحُ أحيانًا جلاءُ العَقْلِ

---

(١) صحيح: وانظر لفظه في صحيح الجامع برقم (٧٨٤).

اللُّطْف واللَّطافة: الدِّقَّةُ، وشيءٌ لطيف؛ أي دقيق، والله سبحانه وتعالى لطيفٌ بعباده، أي عالم بدقائق أمورهم، متفضلٌ عليهم بدقائق الإنعام، وإنه ممدوحٌ، منه حفظ الحدود، قال تعالى: ﴿وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

باب الميم

المُداراةُ بغير هَمْزٍ: هو الرِّفْقُ بأخلاق، وإنها مفتاحُ السيادة، وأساسُ الدولة، وقاعدةُ الإقبال، والجامعةُ للقلوب المتفرِّقة، والمشتمِلَةُ للأهواء المتعادية، ومن الشرائطِ للرياسة والسياسة، وُجودًا وبقاءً، ولقد أحسنَ مَنْ قال:

ما دُمتَ حيًّا فَدارِ الناسَ كُلَّهُم　　فما أنتَ إلا في دارِ المداراةِ

المِراءُ: مذموم، وهو أوَّل الجدال، لما فيه من أذى المسلِم وتحقيرِه وتسفيهِه.

المزاحُ: مذموم، قال ﷺ: «لا تُمارِ أخاك ولا تمازحه»[1]. عن عمر ﷺ: «مَنْ كَثُرَ ضَحِكُه قَلَّتْ هَيْبَتُه»، ثُمَّ الكراهةُ فيه بالنظر إلى خواصِّه، وهو ذهابُ الوَقار، ونسيانُ الآخرة، وغير ذلك، وقيل: إنما سُمِّي مُزاحًا لأنه أُزِيحَ عن الحقِّ، وقد جاء في الشعر النصيحة:

أمَّا المُزاحَةُ والمِراءُ فدَعْهُما　　خُلُقان لا أرضاهما لصَدِيقِ

المدح: حَسَنٌ لله تعالى، قبيحٌ لغيره، وقد قيل: المدْحُ الذَّبْحُ. قال ﷺ: «إذا رأيتم المدَّاحين فاحْثُوا في وجوههم التراب»[2]، وفيه العديد من الأحاديث، إلا أنه يكون حثًّا على العَمَل، كما مدحَ رسولُ الله ﷺ أصحابَه

---

(١) ضعيف: انظر ضعيف الجامع برقم (٦٢٧٤).

(٢) صحيح: متفق عليه.

وقال: «أرْحَمُ أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر»[١]، رضي الله عنهما، وكان هذا الممدوح قويًّا في حالةٍ لا تزعزعه رياح المدح.

المراقبة: المواظبةُ على حفظ أحواله، وهي الإحسان في حديث جبريل عليه السلام حيث سألَ النبيَّ ﷺ عن الإحسان؟ فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢].

المحاسبة: أن تحاسب نفسَكَ في الظواهر أولًا، فيما فاتها من الطاعات المفروضة، ثُمَّ في قوَّةِ الإيمان، وذلك أن تَجعَلَ قلبك ميزانًا؛ إحدى كَفَّتَيْه الدنيا، وفيها الشهواتُ مِنَ المالِ والجاهِ وغيرهما، والثانيةُ: الآخرةُ، وفيها الدَّرَجات والتَّنَعُّمات، ثُمَّ انظُرْ إلى ما يَثْقُلُ، فمَنْ ثَقُلَتْ موازينُ طاعتِه، فأولئك هم المفلحون، قال عليه السلام: «حاسبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنُوا أنفسَكم قبل أن تُوزنوا»[٣].

المصابَرة: أنْ تَصْبِرَ معَ صَبْرِ عَدوِّكَ ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فالمرابطةُ مُفاعَلةٌ مِن الرَّبطِ، وهو مِنْ رِباط الخيل، والاستعداد للجهاد.

المعاقَبَة: قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا﴾ [النحل: ١٢٦]، والمعاقبة المستحسَنَةُ، معاقبةُ المرءِ نفسَه مما أخَلَّ بفَرْضٍ، وأوَّلُها المحاسَبَةُ ليَعْرِفَ ذنوبَه، ثُمَّ إذا علم بذنوبه، فلا بُدَّ مِنْ زاجرٍ: «فكُلُّكم راعٍ،

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع برقم (٨٩٥).

(٢) صحيح: متفق عليه.

(٣) ضعيف مرفوعاً وروي موقوفاً عن عمر ولم يصح.

وكلكم مسؤولٌ عن رعيته»، وإنما شُرِّعَت الزواجر في الشرع؛ لأن الدَّاعي الطبيعيَّ أغلَبُ من الدَّاعي الشرعي ظاهرًا، وأمَّا المعاقبةُ فلما رُوي عن واحدٍ: أنه نظَرَ إلى امرأةٍ، فجَعَل على نفسه أنْ لا يشربَ الماءَ الباردَ طوال حياته.

المُنَى: جمع مُنْيَة، ومنه التَّمَنِّي، وهو أن تشتهي شيئًا فيَقْوَى ذلك، والتَّمَنِّي قريبٌ من الحسد، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[النساء: ٣٢] وقيل: إنَّ المُنَى رأسُ أموالِ المفاليس، وإنه يَنْقُصُ العقل، وسببه: غلبة الحرص.

المُداهَنة: فِعْلٌ ظاهِرُه الرِّفقُ فقط، ومنه الإدِّهان، قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، ومِن شَرْطِه: خُبثُ العقيدة، وإنه جزء من النفاق، وفيه الذُّلُّ، وارتفاعُ الأمان.

الموَدَّةُ: المحبَّةُ.

المَكْرُ: إرادةُ الشَّرِّ بعبده، وقيل في الآثار: ثلاثةٌ تَرجِع إلى صاحبها: المكرُ، والنُّكْثُ، والبَغْيُ، قال تعالى: ﴿ٱسْتِكْبَارًا وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠]، وقال: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣] .

المروءَةُ: كأن أصلَها المرئية، وهي الخَصْلَةُ المنسَرِبَةُ إلى المرء، ومعناه قريبٌ من الإنسانية، وهي الخصال المختصة بالإنسان لشَرَفِها، نحوَ استحقار القليلِ، والإفضال بالكثير.

المِقَة: المحبة.

والمقْتُ: البُغض.

المنافسة: ذكرت في الحسد.

المِنَّة: قد يُراد بها العطاء، ومنه اسمُ الله تعالى المنَّان، أي كثير العطاء، ويُراد بها ذِكْرُ النعمةِ تُريد بذلك استخفافَه، قال تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة منَّان»[1]، وقيل: إنها مِنْ قولهم: مَنَّ أي نَقَصَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨]، فالمعطِي يَمُنُّ أي يُنقِص من مالِه بالعطاء، والمنَّةُ مبطلةٌ للإنعام بمَنِّه، وقيل في معناه:

فأفسدتَ بالمنِّ ما أولَيْتَ مِن حَسَنٍ ليس الكريمُ إذا أسدى بمنَّانِ

وقيل: إظهارُ النِّعَم سَتْرُها، والكريمُ يُمْدَحُ بسَتْرِ الإنعام، كما قيل:

سَتَروا النَّدَى سترَ الغرابِ سِفاده فبدا وهلْ يَخْفَى الرَّبابُ الهاطلُ؟

المواظَبَةُ، والمنابرة، والمواكظة: الملازمةُ والمداومة على الأمر، وقد مرَّ في أول فصل مِن تمهيد الكتاب.

الملالة: ثِقَلُ العمل عليك لكثرته، ودوامه، وإنه طَبَعِيٌّ في البشر، والعلاج قبلها أن يُوظِّف على نفسه من العمل ما يستقِلُّه، وهو معنى قوله ﷺ: «تكلفوا من العمل ما تطيقون»[2]، وبعدها التجلُّد، وتقويةُ الباعث بالنظر إلى فضائل الأمر أولًا، وبالإجمام ثانيًا، واعلم بأن الملالة شرُّ الأدواء، نعوذ بالله منها.

المجانة: قريبٌ من السَّفه، وهو فعل الأشياء وتركها بلا غرض صحيح.

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع برقم (٧٦٧٦).

(٢) صحيح: متفق عليه بلفظ: (اكلفوا من العمل...).

الملك: هو الاستيلاء على الأشخاص خصوصًا على الإنسان حسًّا بأن يصيروا له مطيعين، والملك عبارة عن حالة يترتب [عليها] الانطلاق في التصرُّف شرعًا، وقريب من الملك السيادة والسؤدد، وقال ﷺ للحسن رضي الله عنه: «إن ابني هذا سيد»[1]، وإنما ظهر سؤدده بأنْ تَرَكَ الدنيا كلها بعد ما زُفَّتْ إليه، وقيل: في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩] السيِّد هو الذي ملَكَ غضبَه، والحَصُور الذي ملك شهوَتَه.

---

(١) صحيح: متفق عليه.

باب النون

النيَّة: مذكورةٌ في القصد.

النِّفاق: قال القُتَيْبي: النفاقُ اسمٌ إسلامي كانت العرب لا تعرفه قبل ذلك، مشتق من نافقاء اليَرْبُوع، وأصله أن يأتي هولاء بوجهٍ، ويأتي أعاديهم بوجهٍ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤] وسببه: الإفراط في حب الجاه والحياة الدنيا، حتى لو كانت الدَّولة لأي الطائفتين كان هو معهم، وإنه غلطٌ لأن كل طائفة إذا وقعت على خبث عقيدته أبغضَتْهُ، كما قال الله تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ﴾ [النساء: ١٤٣]، ثُمَّ إنه لا يتم إلا بأمور ثلاثة: الكذبُ، والخلفُ في الوعد، والخيانة، وإذا استحكم فقلَّما يزول، ولذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] ثُمَّ قال: ﴿ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٦] ولم يقل: وسوف يؤتيهم الله.

النَّوم: قد مرَّ ذِكْره في الآداب من هذا الكتاب.

النُّفْرَة: قد تكون عارضة، وهي الملالة، وقد لا تكون، وهي قوَّية لا تزول إلا بالتأمُّل مع مفارقةِ مَنْ نَفَرَ عنه طبعه، ولهذا كان الأحسن تطليقةً رجعية، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ [الطلاق: ١].

النَّمِيمَة: إخبارُكَ الغير عن غيره مما يسوءه، سواءٌ كان ذلك بالقول أو بالكناية، أو الإشارة، أو الرسالة، فإن كان مما يُعَدُّ ذنبًا أو عيبًا للقائل فهو مع ذلك غِيبة، فإن كان المنقول إليه قادرًا على الضرر بالقائل فهو الشكاية، فإن كان القائل أسرَّ إلى الناقل فهو مع ذلك خيانةٌ في السِّر، بل يجب لكل حاضر أن لا ينقل، قال ﷺ: «المجالس بالأمانة»[1]، وقال ﷺ أيضًا: «النميمة سحر»[2]، فإن خاصية السحر التفريق، والنميمة أشد في ذلك من السحر.

فصل:
على المنقول إليه ستة أمور:

الأول: أنه لا يُصدِّقه قال تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحجرات: ٦]. **الثاني**: ينهاه عن ذلك، **الثالث**: أن يُبغضه في الله، **الرابع**: أن لا يَظن بأخيه سوءًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحجرات: ١٢]، **الخامس**: أن لا يَحمله قوله على التجسُّس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢]، **السادس**: أن لا يحكي قوله، فيكون راضيًا لنفسه ما نُهي النمام عنه.

النِّسْيان: يُذكر ويراد به التأخير، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ [الجاثية: ٣٤] وكأنه من النسية بالتليين، ويُذكر ويراد به ما يضادُّ الذِّكر بالقلب، وإنه داءٌ مركبٌ من الجسمانية والروحانية، وسببه الجَسَداني: تَغيُّر الدماغ إلى رطوبة أو يبوسة، ومن أسبابه: كثرة الأشغال، والمعصية، كما قيل:

(١) حسن: انظر صحيح الجامع برقم (٢٣٣٠).
(٢) لا أصل له بهذا اللفظ، وصح بلفظ: (أتدرون ما العضّة؟.... نقل الحديث....).

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأومى بي إلى ترك المعاصي
وذاك لأن حفظ الشيء فضل ... وفضل الله لا يؤتى لعاصي

وما يزيده من الأغذية كالجوز والتفاح الحامض، والكزبرة الرطبة، والخمر على سبيل الكثرة، وسائر المُبَخِّرات، فذلك من المشهورات، وما يزيله نحو الكندر والعسل وغير ذلك، وكذلك ما يكون من الأفعال فإن منها ما يزيده ومنها ما يزيله.

النَّجْوَى: جمع نُجى كالضعفى جمع ضعيف قال تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧] وأيضًا مصدرٌ، قال تعالى: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ [التوبة: ٧٨] وهو المسارَّة مع غيرك، ومن آدابه أن لا يناجي أحدًا بحضرة أحدٍ، إلا أن يكون شريكًا فيه؛ لأنه استخفافٌ به، وإيهامُ إرادةِ الشرِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المجادلة: ١٠].

الندامة: تألم القلبِ بما فَعَل، وإنها ركنُ التوبة، قال ﷺ: «الندم توبة»[1] ومنه العزم على أن لا يعود، وإنها من لوازم الندم، وسبب الندم: التأمل في قبح الفعل، وسوء عاقبته، وأنَّ فيه سخط الله تعالى، مع كمال قدرته، وكثرة إنعامه.

النظافة: الطهارةُ من الحَدَث والجنابة، والأمور الأخرى المتصلة به، خِلقةً كالظُّفر والشَّعَر، أوْ لا خلقة كالوسخ والدَّرَن، النوع الثاني: نظافة الباطن من الأخلاق الذميمة، نحو البخل والكِبْر، وغير ذلك.

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع برقم (٦٨٠٢).

النَّخْوة: الكِبْر.

النَّكْث: نقض العهد، وقد مرَّ ذِكره، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا ﴾ [النحل: ٩٢] الآية.

باب الواو

الوَرَع: هو الجُبْنُ عن الحرام، ومنه قولهم: رجلٌ وَرِعٌ، أي: جبانٌ، وسببه: خوف الله تعالى، وعن بعضهم: أنه الذي يَتَحَرَّزُ مِنَ الحلال مخافةَ أن يقع في الحرام.

الوَقار: وهو الثِّقَل المحمود، وهو الرَّزانة، فمنها عند الغضب، وهو يضادُّ الطيش، ومنها في النعمة، وهو يضاد البَطَر، ومنها في المحافل، كما قيل:

فقد كانوا إذا رَكِبوا خِفافًا وفي النادي إذا جلسوا ثِقالًا

الوأي: الوعدُ، وخُلفُ الوعدِ، من أمارات النفاق، وسببٌ للعداوة، وارتفاعِ الثقة، كما قيل:

إذا قلتَ في شيء: نَعَمْ فأتِمَّه فإنَّ نَعَمْ دَيْنٌ على الحرِّ واجبُ

الوُلُوعُ بالشيء: شدَّةُ الحرص عليه.

الوفاء بالعهد: خلافُ الخُلْفِ به، والتَّوْفِيَةُ إيصالُ الحقِّ إليه على التمام، قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٧].

الوُدُّ: الحُبُّ.

الوَجْدُ: بالنصب هو الصَّبابَةُ، وشِدَّةُ الشَّوْق، والحُزن - أيضًا - وبالضَّمِّ الغِنَى، والوَجْدة الغضبُ، وقد مرَّ كلُّ واحدٍ في بابه.

باب الهاء

الهُدى: هو الطريق المستقيم، وهو خلاف الضلال.

الهَوَى: الميلُ إلى المحبوب، ومنه الهُوِيُّ، وهو الانخفاض، وهَوَى النفسِ: مَيْلُها إلى اللَّذات، وقد مرَّ آفاتُ متابعةِ الهَوَى، ورَوادِعُها.

الهَيْبَة: هي الخوفُ مع تعظيمٍ، تقول العربُ: الهَيْبَةُ خَيْبةٌ.

الهِمَّة: فِعْلَةٌ مِنَ الهَمّ، وهو القَصْدُ إلى الشيء، وفي العُرف: يُراد به قوَّةُ القصد، وتصميمُ العزم، وإنه السببُ الأقوى لنيلِ الدرجات، وقيل: المرءُ يَطيرُ بهِمَّتِه كالطَّيرِ بجناحَيْهِ.

الهَرَب: الفِرار، وقد مَرَّ.

الهَفْوَة: الزَّلَّةُ.

الهَلَعُ: شدَّةُ الحِرص.

الهَوْنُ والهُوَيْنا: السَّيْرُ في الأمرِ بِكَسَلٍ، وقيل:

والهَوْنُ في ظِلِّ الهُوَيْنا كامِنٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وجلالةُ الأخطارِ في الإخطارِ

الهَزْلُ: مذكورٌ في المزاح.

باب الياء

اليَقِين: طمأنينةُ القلب، وقد مرَّ درجاتُه في الشك.

اليقظة: ضدُّ النوم، واليَقَظَةُ بالقلبِ ضدُّ الغفلةِ، وهي التَّنبُّه، ومن أسبابه الجوعُ، والخلوة.

اليُسْر في الحديث: «كونوا ميسِّرِينَ، ولا تكونوا معسِّرِين».

اليَمِينَ: يُذْكَر ويُراد به اليُمْنى، ويُراد به أيضًا الحَلِفُ، ويُراد به - أيضًا - القوَّة، قال الشمَّاخ:

إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجْدٍ   تَلَقَّاها عَرابةُ باليَمِينِ

اليُمْنُ: خلافُ الشُّؤم، وكانتِ العربُ تَتَيَمَّنُ بالسانِح وتتشاءم بالبارِح، فرَدَّ الشرع ذلك بقوله: ﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧]، وفي الحديث: «الطِّيَرَةُ شِركٌ»[١]، وقال ﷺ: «إذا تطيَّرْتَ فامْضِ»[٢]، وحقيقة هذا أنَّ القضاء إذا كان كادَ أنْ يظهرَ ظهرتْ قبل ذلك آثارُه، بالرؤيا، وعلى الألسنة؛ لأن الأرواح الإنسانيةَ جَوَّالةٌ في ملكوت السماء، طوَّافةٌ حولَ العرش على ما جاءت به شواهدُ الأخبارِ، ومنها الفِراسة، والرؤيا الصادقة، فلذلك يظهر تباشير القضاء، وأمارات الكائن في المستقبل في أحوال الخلائق، وكان ﷺ يحبُّ الفأل ويكره الطِّيَرَة[٣]، ويقول: «إذا أبْرَدْتُم إليَّ بريدًا فأبرِدوا

(١) صحيح: انظر صحيح الترغيب رقم ٣٠٩٨.
(٢) ضعيف: انظر لفظه في ضعيف الجامع برقم (٢٥٢٦).
(٣) صحيح: انظر مسند أحمد ٢/٣٣٢.

حَسَنَ الوجهِ حَسَنَ الاسم»[١]. كلُّ ذلك كان استبشارًا بأوائل الخير، واستنشاقًا لنَسِيمِ اللُّطفِ، إلا أنَّ بعض العرب تنسب الأشياء إلى الهامَة والسانح والبارح والقَعِيدُ والناطح، وتُسَمِّي الغُرابَ حاتمًا؛ لأنه يَحتِمُ بالفِراق، فردَّ النبيُّ ﷺ بقوله: «لا عَدْوَى ولا هامة»[٢]، أي الحوادث لا تُنسَب إلى هذه الأشياء بالخَلْق والاختراعِ، والإنشاء والابتداع، بل بعضُ هذه الأشياءِ أسبابٌ ضعيفةٌ، أو أمارات لطيفة، بل المضاف إليه هذه الحوادث وغيرها هو الله الخالق المبدئ المعيد، وهو الذي أنشأها أول مرَّة، وهو على كل شيء قدير، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثُمَّ ذكر - رحمه الله - في خاتمة الكتاب ثلاثة فصول:

الأول: الاعتذارُ مِنْ تَرْكِ شرط الآداب، وعِلم اللغة، وموازين العربية في التراجم، فإن المعتَبَر في الكتب الأدبية، ومجموعاتِ العربيةِ الحروفُ الأصليةُ لا الزوائد، إلا أنَّ الذين يُزاولون العلمَ - الذي نحن بصدده - ربما لا يقفون على دقائق صنعة الأدب، فاعتبر أول الكلمة زيادةً كانت الحروف أو أصليةً تيسيرًا على الراغب، وتسهيلًا على الطالب.

الثاني: الاعتذارُ من أشياء مذكورة ليست من الأخلاق، كالغضبِ والجوع وغير ذلك، فإن البعضَ منها، بل الكلُّ يُعَدُّ من الأخلاق عند البعض، ولأنه يتصل بالأخلاق، ويلازمه في الإصلاح، وهو المقصود

(١) ضعيف: وقد بينت ذلك في كتابي (المباحث العلمية) ورددت على شيخنا الألباني تحسينه للحديث.

(٢) صحيح: متفق عليه.

الكُلِّي، والغرضُ الأصلي.

الثالث: فيما ترك في التراجم وإن كان يُعدُّ من هذا الجنس؛ لأنها في الحقيقة مذكورةٌ، وعند إنعامِ النظرِ مسطورةٌ، كشرب الخمر، والزنا في الشَّبَق، والشِّبَع، ثُمَّ قال: ولا أظنُّ خُلُقًا من الأخلاقِ المشهورة إلا وهو مذكورٌ مع المانع عنه، والباعث عليه.

نسأل الله تعالى أن يُتِمَّ نفع المسلمين به إنه ولي الإجابة

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على خير خلقه مُحَمَّد وآله أجمعين

تمت كتابته في جمادى الآخر سنة تسعين وستمائة

فهرس المحتويات

Makārim Al-Aḫlāq

by

Burhān Al-dīn Al-Nasafi

Edited by
Muhammad ben Abdullah Ahmad
(Abu Al Fadl Al Kounawi)

Hadiths Edited by
Ali Reda Ben Abdullah
ben Ali Reda



دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban